نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس

الأستاذ الدكتور
عبد الواحد ذنون طه



نشأة تدوين
التاريخ العربي في الأندلس

نشأة تدوين
التاريخ العربي في الأندلس

تأليف

أ. د. عبد الواحد ذنون طه



دار المدار الإسلامي

الطبعة الأولى

حزيران/يونيو/الصيف 2004 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 5931/ 2004
ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-215-0
دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،
خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb
ص.ب. 14/6703 ـ بيروت ـ لبنان
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498،
هاتف: 4448750 ـ 4449903 ـ 3338571. 21 . 00218 ـ فاكس: 4442758 . 21 . 00218،
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى ـ oeabooks@yahoo.com

تمهيد

لم يكن ظهور علم التاريخ في الأندلس منفصلاً عن جذوره التي نشأ فيها وتطور عنها في المشرق العربي. ومع أن هذا العلم قد ظهر في صدر الإسلام مرتبطاً بعلم الحديث، إلا أنه لا بد من معرفة مدى اتصاله واستمراره بتراث ما قبل الإسلام، حيث ظهرت في شبه الجزيرة العربية حضارات راقية، لا سيما في اليمن، تضمنت وجود شيء من الفكرة التاريخية، ونظام ثابت للتاريخ. كذلك كان لدى عرب الشمال روايات شفوية تدور حول آلهتهم، وشؤونهم الاجتماعية، ومآثرهم، وغزواتهم، وأيامهم، وأنسابهم. وقد استمرت هذه الروايات، لا سيما (الأيام) التي تروي الحرب التي خاضتها القبائل العربية، وما قيل فيها من شعر ونثر، وما برز فيها من بطولات وأحداث، تكون جزءاً من الأخبار التاريخية التي سادت حتى صدر الإسلام، وكان لأسلوبها الذي يفيض بالحيوية، ويختلط فيه الشعر بالنثر، أثره في بداية علم التاريخ عند العرب، خاصة في الأوساط القبلية[1].

وقد ازدادت عناية العرب بالأيام والأنساب في العهد الإسلامي،

---

(1) انظر: عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960، ص13 - 17.

كما ظهر لون جديد آخر فرضته الأحداث، وهو المغازي، أو الغزوات التي خاضها الرسول عليه الصلاة والسلام. وكانت هذه الغزوات مصدر اهتمام واعتزاز لدى المسلمين، وقد تطورت دراسة حياة الرسول (السيرة)، ومرحلة السيرة بكاملها. وكان رواد هذه الدراسات هم من المحدثين، الذين أكدوا أهمية الإسناد، أو سلسلة الرواة في الوصول إلى شاهد العيان الحقيقي الذي روى أو شاهد الحدث. وكان هذا الاتجاه الذي ظهر في مرحلة مبكرة من تاريخ الأمة، قد ولّد نظرة ناقدة إلى مصادر المعلومات، وأدخل عنصر البحث والتحري في جمع الروايات، وكوّن أساساً متيناً للدراسات التاريخية[2].

وحينما افتتح المسلمون الأندلس سنة 92هـ/ 711م، كانت هذه الدراسات ما تزال في بداياتها في المشرق، لكنها انتعشت، وازدهرت، لا سيما بعد النصف الثاني للقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حيث ظهر أول كتاب منظم لدراسة السيرة، هو كتاب محمد بن إسحاق المتوفى سنة 151هـ/ 761م. وقد انتشرت دراسة السيرة خلال هذا القرن إلى أماكن أخرى خارج المدينة المنورة ـ التي كانت تمثل إحدى المدارس الكبيرة للحديث والتاريخ ـ كاليمن، والعراق، وبلاد الشام، ومصر. ثم تطورت الدراسات التاريخية، وأصبحت تشمل موضوعات أخرى متعددة فضلاً عن السيرة، كأحداث التاريخ الإسلامي منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأخبار الجاهلية، والعرب قبل الإسلام، لا سيما في اليمن والحيرة، وتاريخ الأنبياء السابقين، وتاريخ بعض الأقوام المجاورة، كالفرس، والروم، والأمم الأخرى من هند وصين وقبط[3].

(2) المرجع نفسه، ص20.

(3) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1979: 1/ 101 ـ 102.

ونتيجة لتوسع الدولة العربية الإسلامية، واحتوائها على ولايات وأقاليم متباعدة، فقد ظهرت الحاجة في هذه الأماكن الجديدة إلى كتابة تاريخ خاص بها. ولكن الحركة التاريخية في هذه الأماكن النائية، وإن تميزت بميزاتها الخاصة المتأثرة بالبيئة الجديدة، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي سادت فيها، لن تخرج في أول أمرها عن الخط العام لسير الحركة التاريخية، التي ابتدأت في صدر الإسلام، وانطلقت من المدارس الكبرى كالمدينة المنورة، والعراق، وغيرهما.

الفصل الأول

المحاولات الأندلسية الأولى لتدوين التاريخ

عبد الملك بن حبيب السلمي

كانت الأندلس بعد افتتاحها تمثل إحدى هذه الولايات الكبيرة التي تأثرت أولاً بالمؤثرات المشرقية في تدوين التاريخ، والتي جاءتها من مصر بالذات، نتيجة رحلات بعض علمائها إلى هذا البلد وأخذهم عن الشيوخ المصريين. ويعد عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة 238هـ/ 852 من أوضح الأمثلة لهذا التأثير. فهو أول عربي تنتجه أرض الأندلس يؤلف كتاباً يتعرض فيه إلى تاريخ بلاده. عاش ابن حبيب في مدينتي البيرة Elvira وقرطبة Cordoba صدر شبابه وفيهما درس. ثم رحل إلى المشرق وتردد على حلقات الدرس هناك، لا سيما في المدينة المنورة، حيث درس الفقه على مذهب مالك بن أنس، وأصبح من كبار أنصاره. وقد نال شهرة واسعة في الأندلس حتى لقَّبه الناس (بعالم الأندلس). ألّف كتباً كثيرة، لكن معظمها أصبح الآن في عداد المفقودات، ولم يبق إلا كتابه المسمى (بالتاريخ) الذي ما يزال مخطوطاً في مكتبة البودليانا في أوكسفورد تحت رقم (127)[4]. لكن

---

(4) عن عبد الملك بن حبيب وكتابه راجع: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، القسم الأول، ص269 ـ 272، محمد بن أبي نصر، الحميدي، جذوة

القيمة العلمية لهذا الكتاب تبدو ضئيلة جداً، لما يشوبه من أساطير وخوارق.

ابتدأ ابن حبيب كتابه بالحديث عن تاريخ العالم «أولية خلق الدنيا»، وتاريخ الأنبياء والرسل وصولاً إلى سيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين. ثم واصل حديثه حتى فتح الأندلس، وأشار إلى ما يوجد فيها من خيرات ومعادن ثمينة، ثم قص سير حكامها من الأمراء والملوك، ومن غزاها من الفاتحين. وهكذا جعل ابن حبيب تاريخ العالم مقدمة لتاريخ الأندلس. وفي حديثه عن فتح الأندلس، تطرق إلى دور كل من طارق بن زياد، وموسى بن نصير في هذا الفتح، كما تحدث باختصار عن بعض ولاة وأمراء الأندلس في العهد الأموي. لكن هذه المادة التي قدمها ابن حبيب تختلط بالأساطير، حتى لتبدو وكأنها قصة من قصص ألف ليلة وليلة. فيذكر لنا، على سبيل المثال، ما رآه طارق في نومه من الرؤى، ويطيل في وصف حصار المسلمين لمواضع يعمرها الجن ويقومون بالدفاع عنها، ويطيل الحديث عن الكنوز التي كانت في قصر طليطلة Toledo، ويطنب في ذكر «مائدة سليمان»، وأساطير أخرى كثيرة يدرجها في حديثه على أنها تاريخ[5].

المقتبس، القاهرة، 1966، ص282 ـ 284، أبو العباس أحمد بن محمد، ابن عذاري، البيان المغرب، نشر: كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948: 2/110 ـ 111، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، 1969: 3/86؛ Pons Bolgues, (Los historiadores Y geografos arablgo espanoles), Amesterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898, PP. 29-38.

(5) انظر: عبد الملك بن حبيب السلمي، استفتاح الأندلس، نشره: محمود علي مكي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 5، 1957، ص221 ـ 243، وانظر بشكل خاص، ص229، 230، 231، 225، 226، وقارن: أنخل جنثاليث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة، النهضة المصرية، القاهرة، 1955، ص195.

أخذ ابن حبيب معظم هذه الأخبار والروايات عن شيوخه المصريين، من أمثال الليث بن سعد المتوفى سنة 175هـ/ 791م، وعبد الله بن وهب المتوفى سنة 197هـ/ 812م. ويؤكد ابن حبيب نفسه هذا الأمر، ففضلاً عن هؤلاء الرواة وغيرهم الذين يذكرهم بالاسم، يقول على سبيل التعميم: «وحدثنا بعض مشايخ أهل مصر أن موسى بن نصير انتهى إلى نهر. . .»[6]. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن معظم رواياته جاءت عن طريق المحدِّثين المصريين الذين كانوا يقصون لتلامذتهم الأندلسيين أحاديث الفتح التي سمعوا بها، وتناقلوها عن طريق بعض الذين أسهموا في الفتح مع موسى بن نصير. وكان أولئك الشيوخ يحسبون أن الأندلس مجمع الأعاجيب، ويتحدثون عنها على أنها بلد وجد في بحر الظلمات، تسكنه الجن، وتقوم فيه القلاع المسحورة والأصنام، وتعيش فيه الشياطين في قماقم حبسها فيها النبي سليمان عليه السلام. ولهذا نجد أن كتاب ابن حبيب قد امتلأ بهذا النوع من الروايات[7].

ويرى الدكتور محمود علي مكي، الذي قام بدراسة وافية للكتاب، ونشر الجزء المتعلق منه بالأندلس، إن هذه النسخة ما هي إلا مختصر صغير لكتاب ابن حبيب الحقيقي، وإن الذي قام بوضع هذه النسخة إنما هم بعض تلامذة ابن حبيب[8]. ويدل على ذلك أن سلسلة أمراء الأندلس المسلمين الذين وردوا في الكتاب تصل إلى الأمير عبد الله بن محمد، أي إلى سنة 274هـ/ 888م. وقد توفي ابن حبيب

---

(6) استفتاح الأندلس، ص230.

(7) المصدر نفسه، ص229، وقارن بالنثيا، المرجع السابق، ص196.

(8) M. A. Makki, (Egipto Y los origenes de la historiografia arabe-espanola), Revista del Instituto de Estudios Islamicos, V, Madrid, 1957, PP. 197-200.

قبل ذلك بنحو خمس وثلاثين سنة. والراجح أن أحد تلاميذ ابن حبيب بالذات، المدعو ابن أبي الرقاع، هو الذي وضع الكتاب في صورته الحالية، وأكمله وأضاف إليه، حيث كان يقيد سماعه عن عبد الملك[9].

هكذا إذن تدوين التاريخ في الأندلس، معتمداً على جهود المشارقة في مصر، ومتبعاً أساليب الإسناد التي استخدمت أصلاً من قبل المحدِّثين. وهذا طبيعي لأن معظم هؤلاء الشيوخ كانوا محدثين لا مؤرخين، وإنما جاء اهتمامهم بالتاريخ نتيجة لتطور خبرات الأمة، وشيوع الأخبار التاريخية، وأحداث الفتوح بين الناس. وكان عبد الملك بن حبيب نفسه محدثاً، وألّف (الواضحة) التي تعد أحسن شرح على موطأ مالك[10]. ولهذا فقد جاء تأليفه في (التاريخ) ضمن هذا السياق، فهو أول محاولة عربية لكتابة التاريخ في الأندلس، على الرغم مما اعترى الكتاب من قصور ونقص، وتركيز على الأساطير والخرافات.

---

(9) بالنثيا، المرجع السابق، ص195.

(10) ابن الفرضي، القسم الأول، ص27، الحميدي، ص283.

معارك بن مروان

ومن المحاولات الرائدة الأخرى في تدوين التاريخ في الأندلس، التي يرجع زمنها إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ما قام به أحد أحفاد موسى بن نصير، المدعو معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير. ويشير الحميدي[11]، إلى أن معاركاً قد ألّف كتاباً في تاريخ الأندلس، تناول فيه دور موسى بن نصير في فتح البلاد، وما جرى له فيها من أمور. وهذا الكتاب مفقود في الوقت الحاضر، ويرى الدكتور محمود علي مكي[12]، إن القسم الطويل الذي يدور حول حياة موسى بن نصير من كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة الدينوري، مأخوذ من كتاب معارك بن مروان حفيد موسى بن نصير. ومن المحتمل أن مؤلف كتاب (الإمامة والسياسة) قد أفاد أيضاً من موارد أخرى، ولم يكتف بكتاب معارك بن مروان. وعلى أية حال، تطغى على هذا القسم من الكتاب أيضاً صفة الأساطير والروايات الخرافية التي تهدف إلى إبراز دور موسى بن نصير، وإضفاء صفة البطولة الأسطورية عليه[13].

---

(11) جذوة المقتبس، ص338.

(12) Makki, Op. Cit., pp. 21 f.

(13) انظر الجزء الخاص بالأندلس من كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، تحقيق:

عبد الله بن الحُكَيْم

انتهت هذه المحاولات في التدوين التاريخي المتأثرة بالمشرق التي تميزت بطغيان الروح الأسطورية عليها، بحلول القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث ظهر مؤرخون حاولوا التجديد، والتركيز على موضوعات خاصة بواقع الحياة في الأندلس. ومن هؤلاء مؤرخ يدعى أبا محمد عبد الله بن عبيد الله الأزدي الملقب بالحُكَيْم المتوفي سنة 341هـ/ 952م، الذي كان عالماً باللغة، وحفظ الأخبار، وقول الشعر[14]. ألّف كتاباً في الأنساب عنوانه: (أنساب الداخلين إلى الأندلس من العرب وغيرهم) أهداه إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله سنة 330هـ/ 941م. وقد ذكر الحُكَيْم في هذا الكتاب الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس، وقريش ومواليهم، وأهل الخدمة والتصرف، ومشاهير العرب الداخلين إلى الأندلس من المشرق في غير قريش، ومشاهير قبائل البربر الذين دخلوا إلى الأندلس[15].

طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ: 2/ 60 ـ 67.

(14) أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956: 2/ 783.

(15) محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة،

لم يتطرق إلى ذكر هذا المؤرخ سوى قليل من الباحثين، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن كتابه هذا قد ضاع في جملة ما ضاع من كتب الأندلس، ولم يبق منه إلا شذرات قليلة، لكنها غنية في معلوماتها عن استقرار بعض الأسر العربية الشهيرة في الأندلس، نقلها بعض المؤرخين اللاحقين، من أمثال محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري في كتابه (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة)[16].

ويبدو أن التأليف في الأنساب، كان حاجة ضرورية ملحة في الأندلس، نظراً لدخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى هذه البلاد، واختلاطها، واحتمال ضياع أنسابها. وقد أيّد أمراء الأندلس وخلفاؤها هذه المؤلفات لما تحققه من استقرار وتوثيق للأنساب، والدليل على ذلك أن الحُكَيْم أهدى كتابه إلى الناصر لدين الله. كما اشتهر الخليفة الحكم المستنصر بالله (350 ـ 366هـ/ 961 ـ 976م) أيضاً بأنه ألّف شخصياً في هذا الحقل المهم من حقول المعرفة التاريخية[17].

السفر الأول، القسم الأول، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، دون تاريخ، ص213، السفر السادس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1973، ص208.

(16) انظر على سبيل المثال: السفر الأول، القسم الأول، ص213، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1965، ص250، السفر الخامس، القسم الثاني، ص574، 654، السفر السادس، ص208.

(17) يشير علي بن أحمد بن حزم إلى نقله لكثير من الأنساب من خط الحكم المستنصر، انظر: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1962، ص88، 310، 399، 408، 424.

محمد بن حارث الخشني

وظهر في القرن الرابع الهجري أيضاً مؤرخون اهتموا بالتراجم والطبقات، ويعد محمد بن حارث الخشني أبرز من ظهر في هذا المجال. فهو وإن كان قيرواني المولد من شمال أفريقيا، لكنه رحل إلى الأندلس ولمّا يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وحل بمدينة قرطبة، تتلمذ على كبار علمائها، من أمثال محمد بن عبد الملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، وأحمد بن عبادة، ومحمد بن يحيى بن لبابة، وغيرهم. كان للخشني اهتمامات متعددة، أهمها الحديث، والفقه، واللغة. وقد نال تشجيع الخليفة الحكم المستنصر بالله، فصنف له العديد من الكتب[18]. وقد أشار الحميدي[19]، إلى أنه جمع كتاباً في (أخبار القضاة بالأندلس)، وكتاباً آخر في (أخبار الفقهاء والمحدثين) وغيرهما من الكتب الأخرى. وقد نشر الكتاب الأول في مدريد سنة 1914م مع ترجمة أسبانية من قبل خوليان رايبيرا Julian Ribera بعنوان: (Historia de los Fueces de Cordoba) كما نشر أيضاً من قبل الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1966م بعنوان: (قضاة قرطبة).

---

(18) ابن الفرضي، القسم الثاني، ص112 ـ 113، الحميدي، ص53.

(19) جذوة المقتبس، ص53.

عُني الخشني في هذا الكتاب بتقديم صورة صادقة لبعض الحياة الاجتماعية في قرطبة في ذلك العصر. وقد اعتمد في مادته بشكل أساس على مصادر متعددة، منها الخطابات المتبادلة بين الحكام والقضاة، والوثائق المحفوظة عند بعض الأسر المتنفذة، وفي البلاط الأموي، وربما اعتمد أيضاً على بعض الكتب المجهولة الاسم والعنوان، فضلاً عن الروايات التي كانت تتواتر بين الناس في ذلك الحين. ويشير الخشني في كثير من الأحيان إلى موارد كتابه، لكن إشاراته مبهمة، ولا تعين على التدقيق في أصل هذه الموارد بشكل مضبوط، من ذلك قوله على سبيل المثال: «قال لي بعض أهل العلم...» و«سمعت من أهل العلم سماعاً فاشياً...» و«قال لي رواة الأخبار...» و«رأيت في بعض الحكايات» و«أخبرني من أثق به من أهل العلم...»[20].

ويبدو أن كتاب الخشني الثاني الذي أشار إليه الحميدي باسم (أخبار الفقهاء والمحدِّثين)، ما هو إلا كتابه الموسوم (طبقات المحدثين بالأندلس)، الذي ما يزال مخطوطاً في مكتبة القصر الملكي في الرباط تحت رقم (6916)[21]، وهو يحتوي على مائة واثنتين وثمانين ورقة مكرسة للحديث عن مختلف المحدِّثين المشهورين في الأندلس. وعلى الرغم من أن هذا الكتاب مخصص للحديث عن مختلف العلماء والمحدثين، إلا أنه يضم في ثناياه مادة تاريخية واجتماعية قيِّمة تساعد في التعرف على الحياة التي كانت سائدة في الأندلس آنذاك. كما أنه

(20) انظر على سبيل المثال: قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، 8، 14، 15، 22، 37، 82، 89، 100.

(21) أخبرني الزميل الدكتور رضا هادي عباس أنه قد شرع بتحقيق هذا المخطوط القيِّم الذي نرجو أن يرى النور قريباً.

يحوي أيضاً معلومات مفيدة جداً تخص الاستقرار المبكر للمسلمين في الأندلس. ومع هذا، يبدو أن غالبية الباحثين لم يُتح لهم الاطلاع على هذا المخطوط واستخدامه[22].

ويعتقد بعض الباحثين المُحْدَثين[23]، أن الخشني يجب أن يستبعد من قائمة المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ الأندلس، لأنه ليس أندلسياً، بل قيرواني الأصل من شمال أفريقيا، رحل إلى الأندلس في عهد الحكم المستنصر بالله. ولكن كما أسلفنا، فإن ثقافة الخشني، وطريقة تفكيره قد تشكلت في الأندلس بإشراف أساتذة وشيوخ أندلسيين أصلاء، لهذا فهو يعد من الناحية العملية أندلسي الفكر والثقافة، وما أنتجه من تراث، ما هو في الواقع إلا انعكاس لحياته الفكرية والثقافية والاجتماعية التي عاشها في بيئته الجديدة، التي لم يعرف غيرها بعد أن انتقل إليها وقضى عمره فيها، ثم توفي ودفن في ترابها سنة 361هـ/ 971م.

(22) انظر: عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد ـ ميلانو، 1982، ص34.

(23) مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، بيروت، 1974، ص615 ـ 616.

ابن القوطية

وبرز في هذا العصر عالم آخر ألّف في تاريخ الأندلس، وهو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية المتوفى سنة 367هـ/ 977م. وهو ينتسب إلى سارة القوطية حفيدة الملك غيطشة Witiza. ولد هذا الرجل في قرطبة ودرس في أشبيلية Seville، وكان عالماً بالنحو واللغة متقدماً فيهما على أهل عصره، حافظاً لأخبار الأندلس، ملماً برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها، وكان يملي ذلك عن ظهر قلب[24] وأهم ما تبقى من مؤلفاته هو كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس)، الذي يتناول الكلام فيه عن تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد أي إلى سنة 299هـ/ 912م. ويغلب على ظن معظم الباحثين أن الكتاب ليس من إنشاء ابن القوطية نفسه، وإنما هو أقرب إلى أن يكون سماعاً دوّنه عنه بعض من كان يحضر دروسه من المولعين بالأخبار[25]. وهو مجموعة من الأخبار القصار يبدو فيها ميل المؤلف وهواه، وهي ترد على هيئة أخبار منفصلة

---

(24) ابن الفرضي، القسم الأول، ص76.

(25) Pons Bolgues, Op. Cp. Cit., pp. 83-84.

بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص203.

بعضها عن البعض الآخر. والرواية، كما قلنا لا ترد في الكتاب على لسان ابن القوطية، بل على لسان أحد سامعيه، ويتبين ذلك من العبارة الأولى من الكتاب التي تنص على ما يأتي:

«أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال...»[26].

ونظراً لانتساب هذا المؤلف إلى الأسرة القوطية الحاكمة قبل دخول العرب إلى الأندلس، فقد أورد أحداثاً كثيرة عن القوط، لا سيما من أرطباس Ardabast ابن غيطشة، وعلاقاته مع كبار الشخصيات العربية من أمثال الصميل بن حاتم الكلابي، وعبد الرحمن الداخل[27] وتتميز هذه الروايات بأنها تتضمن عنصراً قومياً أندلسياً، وهي ظاهرة على جانب كبير من الأهمية، نظراً لتعدد الأجناس التي كانت تعيش في الأندلس في ذلك العصر. وقد أهمل هذه الناحية بقية المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ الأندلس. ومن الملاحظ أيضاً أن ابن القوطية يهمل شؤون اليهود والنصارى في كتابه إهمالاً تاماً، ولو أنه عني بها لاكتملت صورة المجتمع الأندلسي الذي كان يؤرخ له[28].

إن ثبوت رواية كتاب (تاريخ افتتاح الأندلس) بالسماع عن ابن القوطية، وإنه لم يكن من إنشائه، دعا البعض أيضاً إلى استبعاده من جملة أوائل المؤرخين الأندلسيين الذين كتبوا عن تاريخ بلادهم[29]. .وفي هذا الرأي مجانبة كبيرة للواقع، حيث إن السماع لا ينفي أهمية مادة الكتاب، التي هي أصلاً من فكر وتأليف ابن القوطية، الذي كان

(26) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، نشره وترجمه إلى الأسبانية، خوليان رايبيرا، مدريد، 1926، ص2.

(27) المصدر نفسه، 36 ـ 40.

(28) بالنثيا، المرجع السابق، ص204.

(29) الشكعة، المرجع السابق، ص616 ـ 617.

يمليها على طلبته عن ظهر قلب، كما يشير إلى ذلك ابن الفرضي[30]. لذلك يمكن اعتماد هذا الكتاب على أنه من المحاولات الرائدة الأولى في التدوين التاريخي في الأندلس، لما تميز به من خصائص تتعلق بطبيعة وتكوين المجتمع الأندلسي، وانتساب المؤلف إلى هذا المجتمع، ومحاولته رسم صورة واقعية للأحداث التي مرت على بلده منذ الفتح وإلى نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

واستمراراً في عدم الاعتراف بقيام الأندلسيين بتدوين تأريخهم وأدبهم قبل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، يرى الدكتور مصطفى الشكعة[31]، إن الكتاب الأندلسي الأول الذي لا يمكن أن تحوم حوله الشكوك، هو كتاب (تاريخ علماء الأندلس) الذي ألّفه أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي المتوفى 403هـ/1012م. وفي هذا الرأي أيضاً جزم لا يمكن القطع به، لوجود المحاولات الرائدة الأولى التي سبقت الإشارة إليها، لا سيما مؤلفات عبد الملك بن حبيب، ومعارك بن مروان، وعبد الله بن الحُكَيْم، وابن القوطية، التي تناولت بشكل أو بآخر تاريخ الأندلس، على الرغم مما قد يشوب بعض هذه المؤلفات من نقص أو ضياع، أو إمعان في الاهتمام بالروايات الأسطورية، أو تأكيد ناحية دون أخرى من هذا التاريخ العريض الغني بأحداثه ورواياته.

(30) تاريخ علماء الأندلس، القسم الثاني، ص76.

(31) مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، ص619.

الفصل الثاني

دور أسرة آل الرازي

إن المحاولات الجادة الأولى لوضع أساس علم التاريخ في الأندلس ظهرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لا بعده وذلك على يد أحمد بن محمد بن موسى الرازي، الذي كان مؤرخاً وجغرافياً في الوقت نفسه. وهو وإن كان مشرقي الأصل، لكنه أندلسي المولد والنشأة والثقافة، عاش في الأندلس، وتوفي فيها، وقضى عمره في تدوين تاريخها، ووصف جغرافيتها، فهو مؤرخ الأندلس الأول وجغرافيها الذي لا ينازع.

محمد بن موسى الرازي

كان والد أحمد، محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرازي[1]، تاجراً متجولاً من المشرق من أهل الري وإلى هذه المدينة تعود نسبته (الرازي). جاء إلى الأندلس في سنة 250هـ/ 864م، وهو يحمل بضائع مختلفة نالت إعجاب الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/ 852 ـ 886م)، فأجزل له المكافأة، وقربه إليه، لا سيما بعد أن نقل إليه رسالة من إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب أمير أفريقية (حكم ما بين سنتي 261 ـ 290هـ/ 875 ـ 903م)، حيث كلفه الأمير الأموي محمد، بسفارة إلى ابن الأغلب، لإحكام الصلة بين الأندلس ودولة الأغالبة في شمال أفريقيا. وبمرور الزمن توثقت مكانة محمد الرازي عند الأمير محمد بن عبد الرحمن، فدخل إلى الأندلس الدخول الثاني سنة 271هـ/ 884م، وأهدى له جارية رفيعة القدر اشتراها

---

(1) ابن الأبار، التكملة: 2/ 670: أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968: 3/ 11 (برواية ابن حيان)؛ وانظر أيضاً: الحميدي، ص104؛ أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم الأدباء، طبعة دار المشرق، بيروت، بدون تاريخ 4/ 235 ـ 236؛
Pons Bolgues, Op. Cit., P. 45.

من المشرق، تتقن القراءة والكتابة وعلوم اللغة العربية من نحو وأدب، وحفظ لدواوين الشعر الجاهلي والمخضرم والأندلسي، وتقرض الشعر، وتحذق الغناء. لكن الأمير محمد تردد في قبول هذه الهدية، ربما خوفاً من أن تكون عيناً أو جاسوسة من المشرق، الأمر الذي أدى إلى طلب محمد الرازي الاستئذان في الانصراف عن الأندلس، فخرج عنها، وذلك في آخر أيام الأمير محمد.

تردد محمد الرازي في جهات المغرب لا سيما في منطقة سجلماسة، حيث كان مصاهراً بها، وضارباً بتجارته في جهاتها، إلى أن توفي الأمير محمد سنة 273هـ/ 886م، فاستدعى الأمير المنذر محمد بن موسى الرازي إلى الأندلس، فدخلها للمرة الثالثة، وعلت منزلته لدى الأمير الجديد الذي كان حسن الرأي فيه، فأصبح جليسه ومشاوره. فلما توفي المنذر بغتة في عام 275هـ/ 889م، خرج محمد الرازي عن قرطبة ينوي الرجوع إلى المشرق. لكنه مرض في طريقه بمدينة البيرة، وتوفي بها سنة 277هـ/ 890م، وكان ابنه أحمد ما يزال آنذاك طفلاً في الثالثة من عمره، فأقرّه أهله بالأندلس، ونشأ بها، فطلب العلم ومال إلى الأدب، فغلب عليه حب الأخبار التاريخية والبحث عنها[2].

ولكن قبل الحديث عن أحمد الرازي ودوره في تدوين التاريخ الأندلسي، يحسن مناقشة مسألة مهمة، ألا وهي مكانة والده محمد في الأدب والتاريخ، وهل كان مجرد تاجر أو سفير ومشاور للأمراء، أم إنه

---

(2) رواية عيسى بن أحمد الرازي لوفادة جده على الأمير محمد، من كتاب المقتبس لابن حيان، نشرها: ليفي بروفنسال في مجلة Arabica تحت عنوان: Sur l'Installation des Razi en Espagne, II, 1955, pp. 228-230.

وانظر أيضاً: حيان بن خلف، ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، 1973، ص266 ـ 269.

كان يمتلك مواهب أخرى، وله مؤلفات تاريخية؟ يعتقد بعض الباحثين، مثل ليفي بروفنسال Levi-Provencal وغرسيه غومس Garcia Gomez[3]، بأن محمداً الرازي لم يكن له أي دور في كتابة التاريخ. ودليلهم على هذا، أن رواية حفيده عيسى بن أحمد الرازي، المذكورة أعلاه، لا تشير إلى أي نشاط لمحمد في مجال التدوين. ولكن إذا ما استثنينا هذه الرواية فإن هناك إشارات أخرى واضحة تدل على أن محمداً الرازي قد ألف كتاباً في التاريخ يسمى بـ(كتاب الرايات). يذكر الكاتب الأندلسي أبو بكر محمد بن عيسى بن مزين (كان حياً سنة 471هـ/ 1078م) أنه عثر على كتاب في إحدى مكتبات أشبيلية سنة 471هـ/ 1078م اسمه (كتاب الرايات) من تأليف محمد بن موسى الرازي. وفي هذا الكتاب معلومات قيمة عن فتح الأندلس من قبل القائد موسى بن نصير، وكيفية دخوله إلى البلاد، وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته. وفيه تفصيلات عن هذه القبائل، وتجمعاتها، وراياتها التي تحارب تحت ظلها، وإلى هذه الرايات تعود نسبة اسم الكتاب. كما يحتوي على معلومات مهمة عن إجراءات موسى بن نصير في تقسيم أراضي الأندلس، وتعيين الأخماس، وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضلوا دفع الجزية والبقاء على ديانتهم.

ومن المؤسف أن هذا العمل الجليل يعد الآن من جملة الكتب المفقودة، ولكن لحسن الحظ، ما نزال نمتلك بعض نصوصه التي نقلها محمد بن مزين، وأعاد اقتباسها عنه الكاتب المغربي محمد بن عبد الوهاب الغساني في روايته عن رحلة له إلى أسبانيا سنة 1103هـ/

---

(3) Sanchez-Albronoz, (Precisiones sobre Fath al-Andalus), Revista del Instituto de Estodios Islamicos, IX, Madrid, 1961-62, pp. 18-20.

1691م[4]. ويمكن أن نجد قسماً من رواية ابن مزين في كتاب (فتح الأندلس)، وهو مجهول المؤلف، نشره دون خواكين دي كونثاليث في الجزائر سنة 1889م[5]، وفي الرسالة الشريفية التي نشرت ملحقاً لكتاب ابن القوطية (تاريخ افتتاح الأندلس) من قبل خوليان رايبيرا في مدريد سنة 1926[6]. كما اعتمد على كتاب ابن مزين مؤرخون آخرون. من أمثال محمد بن علي بن محمد التوزري المعروف بابن الشباط (توفي سنة 681هـ/ 1282م)[7]. ولعل العثور على كتاب ابن مزين يتيح اطلاعاً أكبر على بقية نصوص (كتاب الرايات)، الذي يشكل مورداً مهماً من موارد ابن مزين.

ويبدو أن (كتاب الرايات) الذي ذكره ابن مزين، واعتمد عليه هو الأول في مجال الكتب التي بحثت في موضوع توزيع القبائل العربية واستقرارها في الأندلس. ومن المرجح أن عدداً من المؤلفين الذين اهتموا بهذا الموضوع فيما بعد، وعلى رأسهم بطبيعة الحال، أحمد الرازي، استعانوا بكتاب الرايات ونقلوا عنه، وإن لم يشيروا إليه في كتبهم.

---

(4) انظر: الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد رقم (5304)، ص99 ـ 102، وقد نشر هذا الكتاب من قبل ألفريد البستاني في تطوان عام 1951. وعن ابن مزين انظر أيضاً: ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963: 1/ 88، بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص212، فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، بغداد، 1963، ص224، Pons Bolgucs, Op., Cit., pp. 45-48, 171, Sanchez-Albornoz, Op. Cit., pp. 18-20.

(5) انظر ص13.

(6) ومن المرجح بأن هذه الرسالة هي جزء من كتاب الغساني المذكور أعلاه، انظر: طبعة مدريد من كتاب ابن القوطية، ص197 ـ 200، 191 ـ 214.

(7) انظر: وصف الأندلس من كتاب صلة السمط وسمة المرط (نص ابن الشباط)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد، 1971، ص21، 162.

أحمد بن محمد بن موسى الرازي

ولد أحمد الرازي يوم الاثنين العاشر من ذي الحجة سنة 274هـ/ السادس والعشرين من نيسان سنة 888م[8]. ولا تتوفر لدينا معلومات كثيرة عن حياته ونشأته الأولى، لكننا نعرف من رواية ابنه عيسى، أنه ولد قبل ثلاث سنوات من وفاة والده في مدينة البيرة. وكان منذ صغره يطلب العلم، ويميل إلى الأدب، ثم غلب عليه حب البحث عن الأخبار التاريخية والتنقيب عنها[9]. وتتلمذ في هذا لشيوخ محدِّثين قرطبيين ذوي مكانة عالية، من أمثال قاسم بن أصبغ (توفي سنة 340هـ/ 951م)، وأحمد بن خالد (توفي سنة 322هـ/ 933م)[10].

ويبدو أن تأثير قاسم بن أصبغ كان كبيراً في أحمد الرازي، فلقد اشتهر قاسم بمؤلفات عديدة تتناول شتى العلوم الدينية والدنيوية[11]،

---

(8) ابن الفرضي، القسم الأول، ص40، ياقوت، معجم الأدباء: 4/ 236.

(9) المقتبس، تحقيق: مكي (رواية عيسى بن أحمد الرازي)، ص269: وانظر أيضاً نفس الراوي: Arabica, II, 1955, P. 230.

(10) عن أحمد بن خالد انظر: الحميدي، ص121 ـ 122: الضبي، بغية الملتمس، نشر: فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1885، ص163 ـ 164: ابن الفرضي، القسم الأول، ص31.

(11) المصدر نفسه، القسم الأول، ص364 ـ 367، الحميدي، ص330 ـ 331، الضبي، ص433 ـ 434، معجم الأدباء: 6/ 336 ـ 337: Pons Bolgues, Op. Cit., p. 60.

نخص بالذكر منها موضوع الأنساب. يذكر ابن حزم[12]، أن ابن أصبغ ألّف كتاباً في الأنساب، ولا شك في أن أحمد الرازي قد استفاد من هذا الكتاب، المفقود حالياً، كما استفاد من كتاب والده (الرايات)، الذي تحدثنا عنه قبل قليل. ويدل على ذلك غزارة مادة الرازي في موضوع الأنساب، التي ضمَّنها في كتابه المفقود (الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس)، وحفظها لنا العديد من المؤرخين وكتاب التراجم في مؤلفاتهم الباقية، مثل (تاريخ علماء الأندلس) لابن حيان الفرضي و(المقتبس) لابن حيان و(التكملة لكتاب الصلة) لابن الأبار، و(الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب[13].

ومن الأمور الأخرى التي برز فيها قاسم بن أصبغ، الترجمة، ويعتقد بعض الباحثين، استناداً إلى نصين وردا في كتاب (كتاب العبر) لابن خلدون[14]، إن قاسماً قد قام بالاشتراك مع الوليد بن الخيزران، قاضي النصارى في قرطبة، بترجمة (كتاب التاريخ) لهروشيش (باولوس أوروسيوس Paulus Horosius) للحكم المستنصر، عندما كان ولياً للعهد[15] وهروشيش مؤرخ أسباني عاش في القرنين الرابع والخامس للميلاد، وكتابه المؤلف باللاتينية (Historica Adversus Paganos) كان ضمن

(12) رسالة في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب: 3/ 156 ـ 186، انظر: ص174. ووردت أيضاً ضمن (رسائل ابن حزم الأندلسي)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981: 2/ 184.

(13) انظر: عبد الواحد ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، الموصل، 1987، ص98.

(14) العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، 1956 ـ 1960: 2/ 169، 402.

(15) راجع مقدمة كتاب: طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، بقلم المحقق: فؤاد السيد، القاهرة، 1955، ص كط ـ لج: وانظر أيضاً: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967، ص30، 31: ومقالة:

G. Levi Della Vida, "La Traduzione Arabe d ila storie di Orosio, Al-Andalus", XIX, 1954, fasc, 2, pp. 257-260.

ما أرسله ملك القسطنطينية البيزنطي أرمانيوس (Romanos) سنة 337هـ/ 948م إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله. ويوجد في جامعة كولومبيا بنيويورك نسخة وحيدة من الترجمة العربية لكتاب هروشيش تحت رقم (X 893 71 2H) وقد استفاد مؤلفون آخرون من هذه الترجمة، من أمثال ابن خلدون، وسليمان بن حسان الأندلسي، المعروف بابن جلجل[16].

ويرى الدكتور حسين مؤنس[17]، أن الرازي استفاد من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لتاريخه، حيث استعان بالمادة البسيطة التي يقدمها هروشيش، فضلاً عن المادة المشرقية التي كانت تتوفر في الأندلس في ذلك الوقت نتيجة الرحلات والاتصالات ما بين المشرق والأندلس. وبنى الرازي من كل ذلك جغرافية متكاملة لشبه الجزيرة الآيبيرية، وضعها مقدمة لتاريخه عن الأندلس، كما فعل هروشيش، فصارت هذه قاعدة سار عليها كل مؤرخي الأندلس بعد ذلك. وهي التقديم للتاريخ بالجغرافية، أي وصف الميدان قبل ذكر الوقائع، فأصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن واحد، كما سنرى فيما بعد.

والآن لننظر في مدى إسهام أحمد الرازي في تدوين تاريخ بلاده الأندلسي. فهو بحق من أبرز من كتب في هذا المجال، ولقد لقب بـ(التاريخي) لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل، واشتغاله بكتابة التاريخ، وللمجلدات العديدة التي دوّنها في تاريخ الأندلس[18]. يذكر ابن حزم

(16) انظر: طبقات الأطباء والحكماء، ص2، 11، 12، 36.

(17) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص54 ـ 55.

(18) الحميدي، ص104: ابن الفرضي، القسم الأول، ص42؛ نفح الطيب (برواية ابن حيان): 3/ 111؛ وانظر أيضاً: بالنثيا، المرجع السابق، ص197؛ Pons Bolgues, Op. Cit., p. 62.

أن أحمد الرازي ألّف كتاباً في (أخبار ملوك الأندلس)، وآخر في (صفة قرطبة) يتحدث فيه عن خطط المدينة ومنازل عظمائها[19]. كما أنه كتب أيضاً موسوعة ضخمة عن أنساب العرب في الأندلس بعنوان: (كتاب الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس)، الذي يحتوي على خمسة مجلدات كبيرة[20]. وللرازي أيضاً كتاب ضخم عن طرق الأندلس، وموانئها، ومدنها الرئيسة، وتجمعات جندها، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره، وهو الكتاب المسمى بـ(مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة)[21]. ويضيف ابن الأبار[22]، أن للرازي كتاباً آخر عن مشاهير الموالي في الأندلس، وهو كتاب (أعيان الموالي).

إن هذا الاستعراض السريع لإنتاج الرازي ليدلنا لأول وهلة على ضخامة ما قام به في حقل التدوين التاريخي، فهو قد غطى تاريخ الأندلس وجغرافيته إلى العصر الذي عاش فيه، ولم يترك ناحية من نواحي بلاده إلا وصفها، ولا حادثة من حوادث تاريخها إلا دوّنها.

---

(19) رسائل ابن حزم الأندلسي: 2/ 184 (رسالة في فضل الأندلسي: نفح الطيب: 3/ 173)؛ وانظر أيضاً: الحميدي، ص104؛ الضبي، ص104؛ بالنثيا، المرجع السابق، ص197؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 3/ 87؛ بروفنسال، مادة: (الرازي) في دائرة المعارف الإسلامية؛ روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص210، مؤنس، المرجع السابق، ص57.

(20) رسائل ابن حزم الأندلسي: 2/ 184؛ (نفح الطيب؛ 3/ 174)؛ الحميدي، ص104، ابن الأبار، الحلة السيراء: 1/ 245، 2/ 366؛ وانظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية، مادة، (الرازي).

(21) ابن حزم، المصدر السابق: 2/ 172 ـ 173 (نفح الطيب: 3/ 160 ـ 161)، الحميدي، ص104؛ مؤنس، المرجع السابق، ص57.

(22) التكملة لكتاب الصلة: 1/ 40؛ وانظر أيضاً: بروكلمان، المرجع السابق: 3/ 87؛
Pons Bolgues, Op. Cit., P. 63.

ولكن مما يؤسف له أننا لا نملك كتاباً واحداً كاملاً من هذه الكتب، فلقد ذهبت جميعها مع الكثير من كتب الأندلس، نتيجة لما تعرضت له البلاد من أحداث، ولما عصف بها من تعصب أعمى بعد انحسار الحكم العربي الإسلامي عنها. وقد أدى هذا الأمر إلى الإتلاف المتعمد لكثير من المخطوطات العربية، كما حدث مثلاً في غرناطة Granada سنة 950هـ/ 1499م على يد الكاردينال خيمينيث (F. Jimenez de Cisneros) الذي أمر بجمع الكتب العربية من السكان المسلمين. فتكدست في ساحات المدينة عشرات الألوف من هذه المخطوطات التي تشمل مختلف العلوم والآداب، والأحاديث، والمصاحف، وغيرها. وقد أشعلت النيران في هذه الكنوز التي أنتجها الفكر العربي الإسلامي في الأندلس، وقدر البعض عدد هذه الكتب بثمانين ألف مخطوط عربي، في حين يبالغ البعض الآخر، فيجعلها مليوناً وخمسة آلاف كتاب[23].

إن خسارتنا لمعظم كتب الرازي قد عوّضت، إلى حد ما، نتيجة لما قام به المؤرخون المتأخرون من اقتباس الكثير من رواياته ونصوصه في مؤلفاتهم. وهكذا فقد حفظوا لنا معلومات جمة عن تاريخ المسلمين ومظاهر حضارتهم خلال القرون الأولى من تواجدهم على أرض شبه الجزيرة الآيبيرية. فكانت معظم كتب الرازي المذكورة أعلاه، المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤلفين العرب الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الأندلس. وجدير بالتنويه هنا أن كتابه في (أخبار ملوك الأندلس)، كان مصدراً استمد منه المؤلفون المجهولون لكتب (فتح

(23) Pascual de Gayangos, The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, New York, 1964, reprint of London edition, 1840-43, Vol. I, pp. VIII-IX, note 2.

وانظر: عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988، ص18.

الأندلس)[24]، و(أخبار مجموعة)[25]، و(ذكر بلاد الأندلس)[26]، كثيراً من مادتهم التاريخية. يضاف إلى ذلك أن كتاب الرازي هذا كان أيضاً من المراجع الرئيسة لمؤرخين وجغرافيين أفذاذ، من أمثال ابن حيان، وابن الأبار، وابن الأثير، وابن عذاري، وياقوت الحموي، وابن الخطيب، والحميري، والمقري[27].

ومن تدقيق نصوص الرازي المقتبسة في بعض مؤلفات هؤلاء الكتّاب، يتبين لنا أهمية مادة الرازي، وما تقدمه من معلومات في خدمة تاريخ الأندلس. وقد استقى هذه المادة الشاملة، التي تغطي معظم التاريخ الأندلسي إلى عصره، من مصادر متعددة. ويمكن أن نلاحظ مصادر مشرقية أيضاً في رواياته، وبشكل خاص تلك الأخبار التي بثها بعض التابعين الذين أسهموا في فتح الأندلس، بعد رجوعهم إلى المشرق. ومن هذه الأخبار، روايات فتح الأندلس، وفتوحات موسى بن نصير بالدرجة الأولى التي ينقلها الرازي عن محمد بن عمر الواقدي (توفي سنة 207هـ/ 823م)، الذي أخذها بدوره عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه[28]. وعلي بن رباح، هو أحد التابعين الذين صحبوا موسى بن نصير في حملته إلى الأندلس سنة 93هـ/ 712م[29] وشبيه بهذه الروايات أيضاً ما ينقله الرازي عن عبد الملك بن حبيب، وتعد روايات تخميس أراضي الأندلس بعد الفتح لإخراج حصة الخلافة، من أهم

(24) نشره وترجمه إلى الأسبانية: دون خواكين دي كونثاليث الجزائر، 1889.
(25) نشره وترجمه إلى الأسبانية: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867.
(26) نشر بتحقيق: لويس مولينا، مدريد، 1983.
(27) Sanchez-Albornoz, Op. Cit., pp. 10-11.
(28) الرازي، برواية ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 6، 13.
(29) نفح الطيب: 1/ 8، 278.

الروايات في هذا المجال[30].

يتضح من هذا أن كتابة التاريخ في الأندلس لم تكن معزولة عن التأليف التاريخي في المشرق في هذه المرحلة، بل كانت هناك صلات قوية توثقت بالرحلات التي كان يقوم بها العلماء من الأندلس إلى المشرق وبالعكس[31]. من ذلك مثلاً رحلة شيخ الرازي، قاسم بن أصبغ البياني، الذي رحل إلى المشرق سنة 274هـ/ 887م والتقى بعلماء الحجاز والعراق ومصر وأفريقية، وأخذ عنهم، واطلع على مؤلفاتهم، ونقل ذلك كله إلى تلامذته، وإلى بقية العلماء بالأندلس، فتأثروا به، حتى أصبح هدف العلماء ومقصدهم من أنحاء الأندلس[32].

ولكن الرازي يعتمد أيضاً أخباراً أندلسية صرفة، يأخذها من رجال أندلسيين، مثال ذلك ما يرويه عن الفقيه محمد بن عيسى (ربما هو عم الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المتوفي سنة 314هـ/ 927م)[33]، عما فعله المسلمون الفاتحون بكنيسة قرطبة الرئيسة، حيث شطروها إلى شطرين، الشطر الأول بنى فيه المسلمون مسجداً، وبقي الشطر الآخر للمسيحيين[34]. ولا بد أن تكون معظم أخباره الأخرى عن التاريخ الأندلسي مستقاة من كتب ومصادر أندلسية سابقة أو معاصرة لعهده،

---

(30) انظر الرسالة الشريفية (ملحق ابن القوطية، ص205).

(31) عن أهمية هذه الرحلات وأثرها انظر: جعفر حسن صادق، الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق في عصر الإمارة، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1985؛ انظر أيضاً: عبد الواحد ذنون طه، «أهمية الرحلات العلمية بين الشرق والأندلس»، منشور في كتاب (دراسات أندلسية)، الموصل، 1986، ص203 ـ 215.

(32) ابن الفرضي، القسم الأول، ص365 ـ 366.

(33) عن محمد بن عمر بن لبابة راجع: رسائل ابن حزم الأندلسي: 2/ 187.

(34) المقتبس، تحقيق: مكي، ص39.

عن شيوخ لهم اطلاع ودراية بالأحداث الماضية، أو أنه عاصرها بنفسه. ومن جملة المصادر المعاصرة التي اعتمدها الرازي، كتاب (قضاة قرطبة) لمحمد بن حارث الخشني، وكتاب (الفقهاء والقضاة بقرطبة والأندلس)، لأحمد بن محمد بن عبد البر المتوفى سنة 341هـ/ 952م، وهو غير أبي عمر بن عبد البر. فقد أشار إلى هذين المصدرين حينما تحدث عن قضاة قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم[35]. ووصف الرازي أحد الشيوخ الذين اعتمد عليهم في أخبار الأمير محمد ابن عبد الرحمن، وهو أصبغ الكاتب الأشبيلي، على أنه «كان مسناً صدوق اللهجة حافظاً لأخبار بني أمية»[36]. وأفضل نموذج على الأخبار التي عاصرها الرازي بنفسه ما يورده عن الأحداث في عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م)، الذي عاش في عصره[37]، كذلك معلوماته عن الجباية في عهد هذا العاهل العظيم، التي ينقلها عن الرازي المؤلف المجهول لكتاب (ذكر بلاد الأندلس)، فيشير إلى أن الناصر كان يقسم جباياته أثلاثاً، ثلثاً للجند، وثلثاً يدخر في بيت المال، وثلثاً ينفقه في بناء مدينة الزهراء، وكانت الجباية في الأندلس يومئذ خمسة ملايين وأربعمئة وثمانين ألفاً[38]. ومن الجدير بالذكر أن المؤلف المجهول لهذا الكتاب يسمي الرازي بـ(صاحب التاريخ) تنويهاً بأهميته، وطول باعه في هذا الحقل من المعرفة الإنسانية[39].

(35) المقتبس، تحقيق: مكي، ص39.

(36) المصدر نفسه، ص277.

(37) الرازي برواية ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 129 فما بعدها.

(38) ذكر بلاد الأندلس، ص163 ـ 164.

(39) المصدر نفسه، ص151.

والرازي دقيق في معلوماته، إذ يحاول أن يبين تواريخ الأحداث المهمة التي يرويها باليوم والشهر والسنة. ويمكن أن نذكر هنا محاولته في تثبيت يوم الموقعة الفاصلة بين القائد طارق بن زيادة، ولذريق Roderic ملك القوط (يوم الأحد 28 من رمضان سنة 92هـ/ 19 تموز سنة 711م)، وتحديد مدتها بثمانية أيام[40]. وكذلك تحديده لخروج موسى بن نصير إلى الأندلس (في رجب سنة 93هـ/ آذار - نيسان 712م)[41] وتصاحب هذه الدقة الرازي في رواياته الأخرى في الأنساب، حيث يعطي كل المعلومات المتعلقة بالجماعات، أو بالأفراد الذين يتحدث عنهم، وتنقلاتهم من بلد إلى آخر. فعن أحد بيوتات البلدين في أشبيلية (بيت زيد الغافقي)، يقول في كتابه (الاستيعاب)، إنهم «هناك جماعة كبيرة، فرسان ولهم شرف قديم، وقد تصرفوا في الخدمة، بلديون، ثم انتقلوا إلى طليطلة، ثم قرطبة، ثم غرناطة»[42]. وكذلك الحال في المعلومات التي يوردها عن ذرية الصحابي سعد بن عبادة، واستقرارهم في الأندلس ومدنها، حيث ينقل ابن الخطيب عن الرازي قوله: «دخل الأندلس من ذرية سعد بن عبادة رجلان، نزل أحدها أرض تاكرونا [تقع في منطقة مدينة رندة Ronda]، ونزل الآخر قرية من قرى سقرسطونة [مكان يقع في منطقة جيان Jaen] تعرف بقرية الخروج، ونشأ بأحواز أرجونة [Arjona] من كنبانية قرطبة[43]، أطيب

(40) الرازي برواية المقري، نفح الطيب: 1/ 259.

(41) الرازي في المصدر السابق: 1/ 277.

(42) الرازي، برواية ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973: 2/ 133.

(43) يقصد بكلمة (كنبانية) هنا، السهل المنبسط من الأرض، وهي مأخوذة من كلمة (campo) الإسبانية، التي تعني الحقل. انظر المصدر السابق، تعليق المحقق، هامش (2): 2/ 92.

البلاد مدرة، وأوفرها غلّة، وهو بلده، وبلد جده، في ظل نعمة، وعلاج فلاحةٍ، وبين يدي نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك، أن يفيض شريان الرياسة، وانطوت أفكاره على نبل الإمارة، ورآه مرتادو أكفاء الدول أهلاً، فقدحوا رغبته وأثاروا طعمه»[44].

ولا يكتفي الرازي بذكر الأخبار التاريخية الصرفة، بل نجده يكثر من إيراد المعلومات الخاصة بالعمران. ولنا في رواياته الباقية عن تطور جامع قرطبة الكبير وزيادته من قبل الأمراء الأمويين[45]، وكذلك عن منية الرصافة، وبعض خطط قرطبة، والعمران في عهد الأمير محمد، المثل الجيد على هذا الاتجاه[46].

وتمتد غزارة معلومات الرازي لتشمل معظم مظاهر الحياة للعصور التي يؤرخ لها. فهو وإن كان على عادة مؤرخي العصور يكثر من الحديث عن الأمراء والملوك ويلزم جانبهم، لكنه في الوقت نفسه يورد معلومات قيّمة عن عهودهم. فيذكر حجّاب الأمير الذي يؤرخ له، ووزرائه وأخلاقهم، وأصحاب شرطته، وقضاته[47]، والعلماء في عهده وموقفه منهم، واهتمامه به، وتكريمه لهم[48]. كما يتكلم عن غزوات الأمير، وصوائفه، وكيفية استنفاره للمتطوعة من أهل قرطبة[49]، وعن موقفه من حركات التمرد المختلفة[50] وكذلك عن علاقاته مع الدول

(44) المرجع نفسه: 2/ 92.

(45) الرازي، برواية ابن حيان: المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965، ص243 ـ 246.

(46) الرازي في المصدر السابق، تحقيق: مكي، ص234، 236.

(47) الرازي في المصدر السابق: ص25، 28، 38، 39، 162 ـ 164.

(48) الرازي في المصدر السابق، ص245، 248، 250.

(49) الرازي في المصدر السابق، ص270 ـ 271، 304.

(50) الرازي في المصد السابق، ص307.

الخارجية، سواء أكان ذلك مع دول النصارى والفرنجة، أم الدول الإسلامية في الشمال الأفريقي[51].

ويتبين من هذا العرض أن طريقة الرازي في كتابة التاريخ ربما كانت قائمة على أساس توالي الأمراء، وإن كان يشير أحياناً إلى الأحداث حسب السنوات، مثال ذلك ما ينقله عن ابن حيان في أخبار سنة خمس وأربعين ومائتين حيث يروي الرازي أن الأمير محمد عقد في هذه السنة أماناً لأهل طليطلة[52].

ولا تقتصر معلومات الرازي على السرد التاريخي المجرد، بل إنه يحلل أحياناً الوقائع، ويبين رأيه في أسباب الخلافات ونتائجها. ومن ذلك رأيه في النزاع بين العرب والبربر، والعداوة التي استحكمت بين الطرفين نتيجة لتغير موقف بعض العرب وتصلبهم إزاء البربر، الأمر الذي أورث الخصام والعداوة بين الاثنين على مدى عصور طويلة في الأندلس[53]. كما يعزو أيضاً أسباب اتخاذ عبد الرحمن الداخل للمماليك والبربر في جيشه إلى توجسه من القبائل العربية، نتيجة قيامهم المستمر عليه، مما أدى إلى ضعف أمر العرب بصورة عامة في الأندلس ـ ويشير الآتي إلى ذلك صراحة:

«وفي هذا التاريخ أمر الإمام ابن معاوية باشتراء المماليك من كل ناحية فكان منهم في ديوانه من البربر المماليك أربعون ألفاً لأنه استوحش من العرب بسبب نبذهم لطاعته وقتله لرئيسهم أبي الصباح فاستظهر على الأندلس بمماليكه وجنده وضعف أمر العرب بالأندلس

---

(51) الرازي في المصدر السابق، ص130، 275 ـ 277.

(52) المصدر نفسه، ص307.

(53) الرازي، برواية المؤلف المجهول، فتح الأندلس، ص32.

وغلظت الأموية عليهم...»[54].

لنعد الآن إلى ما تبقى من مؤلفات الرازي. ويأتي في طليعة هذه الكتب كتاب (مسالك الأندلس)، الذي يدور معظمه حول صفة الأندلس، أي الوصف الجغرافي لشبه الجزيرة الآيبيرية. وفي الحقيقة، فإن هذا الكتاب ما هو إلا مقدمة جغرافية لكتاب الرازي الكبير في التاريخ (أخبار ملوك الأندلس)[55]. ويتميز هذان الكتابان المزدوجان عن بقية كتب الرازي الأخرى، بأننا ما نزال نملك جزءاً لا بأس به منهما. ولكن من الضروري التذكير بأن النص العربي لهذا الجزء مفقود، وكل ما يوجد منه، ما هو إلا ترجمة أسبانية اعتمدت بالأصل على ترجمات برتغالية ولاتينية أخذت من النص العربي المفقود. وقد نشر باسكال جاينجوس (P. Gayangos) قسماً منها باللغة الأسبانية سنة 1852م، تحت عنوان (Cronica del Moro Rasis)، وأكمل نشرها رامون منديث بيدال (R. Menendez Pidal)[56].

ويتألف هذا الجزء من ثلاثة أقسام، الأول: جغرافي، وهو (صفة الأندلس)، والنص الأسباني الباقي هو ترجمة رجل نجهل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها قسيس يسمى خل بيريث (Gil Perez) وذلك بأمر

---

(54) الرازي في المصدر نفسه، ص66 ـ 77.

(55) P. Gayangos, (Memoria sobre la autenticidad de La cronica denominada del Moro Rases), Memorias de la Real Academia de la Historia, VIII, Madrid, 1852.

(56) Catalogo de la Real Biblioteca, Manuscrites, cronicas generales de Espana, Madrid, 1898.

وقارن: دائرة المعارف الإسلامية، مادة: (الرازي): بالنثيا، المرجع السابق، ص197، حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص11. وقد ظهرت طبعة جديدة (بالأسبانية) لحولية الرازي، نشرها في مدريد عام 1975 (Diego Catalan) بعنوان: Cronica del Moro Rasis.

من الملك دينيس (Dinis) ملك البرتغال (1279 ـ 1325م) ومن الصعب الجزم في هوية هذا القسيس، ولكن يبدو أن معلوماته عن اللغة العربية لم تكن كبيرة، لذلك فقد استعان في إنجاز هذه الترجمة ببعض المغاربة المسلمين، كان من أشهرهم شخص يدعى المعلم محمد (Maestro Muhammad)[57].

والقسم الثاني من هذا الجزء باللغة اللاتينية، وعنوانه «تاريخ أسبانيا منذ وصول أشبان بن ياخت إليها إلى دون رودريجو»، وهو تاريخي يتناول الأحداث في أسبانيا منذ أقدم العصور إلى عهد الملك لذريق (دون رودريجو)، آخر ملوك القوط، ومعركته الأخيرة مع القائد طارق بن زياد. وهذا القسم برأي بعض المستشرقين أمثال رينهارت دوزي (R. Dozy)، وباسكال دي جاينجوس (P. Gayangos) من تأليف القسيس خل بيريت نفسه[58]. وقد صنفه من مواد استقاها من الروايات المتداولة في أيامه، ومن كتب عربية نُقل إليه ما فيها. وترجم المستشرق الأسباني سافيدرا (D. Eduardo Saavedra) هذا القسم إلى الأسبانية، ونشره عام 1892 ملحقاً لدراسته المفصلة عن فتح المسلمين للأندلس[59].

---

(57) Pons Boigues, Op. Cit., P. 64.

Levl-Provencal, (La description de l'Espagne d'Ahmad d-Razi), AL-Andalus, I, 1953, p. 52;

بالنثيا، المرجع السابق، ص197.

(58) المرجع نفسه، ص198.

(59) D. E. Soavedra, Estudio sobre la Invasion de los Arabes en Espana, Madrid, 1892, Apendice, (Fragmentos ineditos de la Cronica llamada del Moro Rasis), pp. 145-154, see also: p. 8 ff.

وقارن: مؤنس، فجر الأندلس، ص11.

أما القسم الثالث، فهو تأريخي أيضاً، ويُعد مكملاً للقسم الثاني ويتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي إلى عصر الحكم المستنصر، وهو عصر الرازي، والكتاب أشبه ما يكون ترجمة لمختصر كتاب الرازي[60]. لكنه يركز على أحداث فتح الأندلس وعهد الولاة فيها، ويبدأ الحديث عن فتوح طارق بن زيادة، لا سيما عن دور الكونت يوليان (Conde D. Julano, Julian) حاكم مدينة سبتة (Ceuta) في مساعدة وتأييد طارق[61]. وكذلك فتوح موسى بن نصير، خاصة فتح مدينة ماردة (Merida)، حيث ورد نص العهد الذي أعطاه موسى بن نصير لأهل هذه المدينة[62]. وهناك تفصيلات أخرى عن دور عبد العزيز بن موسى في الفتح، ومعاهدة الصلح التي عقدها مع الحاكم القوطي تدمير (Theodemiro)، وعن فتح قرطبة من قبل القائد المسلم مغيث الرومي، الذي يوصف خطأ في النص على أنه «رجل من المسيحيين»[63]. إن هذا الخطأ، وغيره من الأخطاء التي توجد في هذا النص، تعود بطبيعة الحال إلى جهل المترجمين، وكثرة استنساخ المادة، ونقلها من لغة إلى أخرى. وهذه الأخطاء لا يمكن أن تكون ضمن المادة الأصلية التي كتبها الرازي، ويدل على ذلك، أن روايات الرازي هذه، والتي نجد نصوص بعضها منقولاً ومقتبساً في بقية الكتب العربية، تخلو من هذه الأخطاء. ولذا فإن هذا الكتاب على صورته الراهنة التي بين أيدينا، يعتبر قليل الأهمية، كثير الأخطاء، فهو مجرد

(60) انظر نص حولية الرازي بالأسبانية: Gayango, Op. Cit., pp. 67-100 Al-Razi, 155
Ibid., pp. 67-69.

(61) Ibid., p. 78.

(62) Ibid., p. 79.

(63) Ibid., p. 69.

واحد من الملخصات التاريخية التي كانت منتشرة في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع للهجرة، ولهذا فإن نسبته إلى الرازي أصبحت موضع شك من قبل الباحثين[64].

أما الجزء الجغرافي من مؤلف الرازي (صفة الأندلس)، فيمكن الاعتماد عليه، لا سيما بعد أن عثر أحد الباحثين البرتغاليين (Luis F. Lindley Cintra) على نسخة فريدة من المخطوط ونشرها باللغة البرتغالية سنة 1952[65]. وقد عمد المستشرق المعروف ليفي بروفنسال (Levi-Provencal) إلى دراسة واختبار هذه النسخة، فظهر له بأنها أكثر صحة من النصوص القشتالية (الأسبانية) المعروفة لحد الآن، وأنها تعد إلى حد كبير جزءاً قيماً من الأصل العربي الضائع. فترجمها إلى الفرنسية، ونشرها مع دراسة قيمة في مجلة (AL-Andalus) عام 1953[66]. ودرس هذا النص أيضاً دراسة وافية من قبل الدكتور حسين مؤنس[67]. ولهذا صرف النظر عن التفصيل في هذا الموضوع. وكل ما يمكن أن يقال عن هذا الكتاب باختصار هو كونه وثيقة قيّمة من الناحية الجغرافية والسياسية والاجتماعية بالنسبة للأندلس، فيه تحديد لموقع البلاد بالنسبة لباقي أجزاء العالم، وتفصيل لمناخها، كما فيه أيضاً وصف شاهد عيان لكل إقليم من أقاليمها، وما تشتهر به من محاصيل، ومعادن، وثروات.

---

(64) Cf.. pons Boigues, Op. Cit., pp. 64-66:
وقارن أيضاً: بالنثيا، المرجع السابق، ص198، طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، ص107.

(65) (Cronica general de Espana de 1344) edicao criticago texto Portugues por Luis F. Lnidley Cintra, Academia Portuguesa de Historia, II, Lisboa, 1952, pp. 39-75.

(66) Levi-Provencal, (La description de l'Espagne d'Ahmad al-Razi), Al-Andalus, I, 1953. PP. 51, 108.

(67) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص59 ـ 72.

عيسى بن أحمد الرازي

توفي أحمد الرازي في اليوم الثاني عشر من شهر رجب سنة 344هـ/ الأول من تشرين الثاني سنة 955م. ولكن لم تنطفىء بوفاته شعلة التأليف التي أوقدها عميد هذه الأسرة، محمد بن موسى الرازي، فلقد أنجب أحمد ابناً تولى هو الآخر دراسة تاريخ الأندلس إلى عصره، فأكمل ما بدأ به والده. ذلك هو عيسى بن أحمد الرازي (توفي سنة 379هـ/ 989م)، الذي كان عالماً بالأدب تاريخياً ذاكراً للأخبار. وقد ألّف عيسى كتاباً في (تاريخ الأندلس) للخليفة الحكم المستنصر، كما ألّف كتابين آخرين للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، أولهما عن (الوزراء والوزارة في الأندلس)، والثاني عن (الحجاب للخلفاء في الأندلس)[68].

ويبدو أن عيسى الرازي لم يكتف بتكملة كتاب (أخبار ملوك الأندلس) الذي صنفه والده أحمد، بل ابتدأ مؤلفه الجديد منذ الأحداث الأولى التي مرت على الوجود العربي في الأندلس. فقد نقل عنه

---

(68) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، نشر: الأركون وكونثاليث بالنثيا: (Apendice a la edicion codera de la Takmlla de Aben al-Abbar), In Miscelanes de estudios Y textos Arabes, Madrid, 1915, pp. 23-39.

وانظر أيضاً: الأنصاري، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص491؛ بالنثيا، المرجع السابق، ص198؛ Pons Boigues, Op. Cit., p. 82.

المقري نصاً يرجع إلى عصر الولاة، ويشير بوضوح إلى كيفية نشوء المقاومة الأسبانية بقيادة بلاي (Pelayo) في منطقة جليقية (Galicia)[69] كذلك أشار ابن الأبار إلى بعض رواياته عن عبد الرحمن الداخل[70] يضاف إلى ذلك أنه كان يضمن كتابه معلومات أساسية مفيدة عن الجذور التاريخية للأحداث التي يتناولها. فحينما يتحدث عن مدينة طليطلة، وكيفية استعادة الخليفة الناصر لدين الله لطاعتها، يُعرّف بتاريخها منذ أقدم العصور، ويسهب في ذكر الأحداث التي مرت عليها خلال العصر الروماني، ومواقفها إزاء الحكام والأباطرة، لا سيما غزوها من قبل يوليوس قيصر، الذي يسميه «يوليش ملك رومة الأكبر أول القياصرة الذي قطع أسماء القواد، وتسمى قيصر فتوالت بعده القياصرة...»[71].

كذلك فإن المعلومات التي يوردها عن الممالك الأسبانية التي قامت إلى الشمال من حدود الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، تدل على معرفة تامة بأحوال هذه الممالك، والصراعات الداخلية التي كانت تدور فيها للاستحواذ على السلطة، الأمر الذي يشير إلى وعي تام بمجريات الأحداث في كل مناطق شبه الجزيرة الآيبيرية، ومحاولة ربط هذه الأحداث بعضها ببعض، للاستفادة منها في إعطاء صورة واضحة عن تاريخ بلده الأندلس. ويشير النص الآتي بوضوح إلى مدى اطلاع عيسى الرازي على أحوال هذه الممالك:

---

(69) نفح الطيب: 4/ 350 ـ 351.

(70) الحلة السيراء: 1/ 37.

(71) انظر: عيسى الرازي، برواية ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص274.

قال عيسى الرازي[72]: «لما هلك فرويلة بن أردون، ملك جليقية، لعنه الله، في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، التي هي سنة اثنتين وستين وتسعمائة لتاريخ الصفر، ملّك النصرانية مكانه أخاه أذفونش بن أردون، فنازعه الملك يومئذ أخوه شانجة بن أردون، وكان أسن منه، فدخل مدينة ليون، دار مملكة الجلالقة، منازعاً لأخيه أذفونش أخرى، وصار مع أذفونش صهره، شانجة بن غرسيه، صاحب بنبلونة»...

ومن المحتمل أن موارده عن هذه الأخبار جاءته عن طريق بعض النصارى المقيمين في الأندلس، والذين كانت لهم علاقات وثيقة بالممالك الأسبانية، حيث كان التداخل مستمراً بطرق شتى كالزيارات التي تتم بين الطرفين بقصد الاطلاع أو المتاجرة وكان المستعربون في الأندلس، وهم نصارى الأسبان الذين تعلموا اللغة العربية، بحكم معرفتهم لهذه اللغة وللغة الأسبانية القديمة ينتقلون بحرية بين الأراضي الإسلامية، والإمارات النصرانية، فينقلون الأخبار بين الطرفين[73]. ومن جهة أخرى، فقد كان الكثير من العرب في الأندلس يفهمون اللغة الرومانسية (Romance) ويتكلمون بها، وهي اللغة الأسبانية القديمة الناتجة من اللهجة الآيبيرية ـ اللاتينية، التي كانت في طور التكوين في ذلك الوقت. ويوجد في مصادرنا العربية إشارات واضحة تدل على أن الأمراء، والقضاة، وكبار القوم، والشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة الأسبانية القديمة، أو الرومانسية، إلى جانب اللغة العربية، وذلك على كل المستويات في المجتمع، وحتى في قصور الأمراء الأمويين[74].

(72) انظر نص الرواية الكامل في المقتبس، تحقيق أشالميتا وآخرون، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979، ص344 ـ 347.

(73) راجع: طه، دراسات أندلسية، ص172.

(74) انظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص55، ابن عذاري: 2/ 227؛ وقارن: طه، دراسات أندلسية، ص172.

ولهذا فليس بمستبعد أن يكون عيسى الرازي على إلمام جيد بهذه اللغة، فاستخدمها للحصول على المعلومات، سواء أكان ذلك بصورة شفوية عن طريق الروايات المتسربة من الشمال. أم بقراءة المصنفات المكتوبة بها، والاستفادة منها في معرفة تاريخ وأخبار الإمارات الأسبانية.

أما على صعيد الأخبار الداخلية لتاريخه، فلا شك بأن عيسى اعتمد على كتاب والده أحمد الرازي اعتماداً كبيراً. ويبدو أنه اعتمد أيضاً على مؤلفات بعض الكتّاب الآخرين من أمثال محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد القرطبي المعروف بالأقشتين (توفي سنة 307هـ/ 919 ـ 920م)، الذي عرف بحب الأدب والأخبار، وله مؤلفات عديدة في اللغة والأدب، من أشهرها كتاب (طبقات الكتاب في الأندلس)[75]. وقد أورد ابن حيان، رواية لعيسى بن أحمد الرازي ينقلها عن محمد بن موسى الأقشتين، الذي ينقلها بدوره عن سليمان بن وانسوس الوزير، وكان الأقشتين مؤدباً لأحد أولاد الوزير. والرواية تدور بشأن محاولة الأمير عبد الرحمن بن الحكم إسناد ولاية العهد لابنه محمد، ويحتمل أن الأقشتين أورد هذا الخبر بصورة أو بأخرى في كتابه المذكور أعلاه.

ومن الذين نقل عنهم عيسى الرازي أيضاً، الفرج بن سلام القرطبي، الذي كان معنياً بالأخبار والشعر والأدب، ورحل إلى العراق والتقى بأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفي سنة 255هـ/ 868 ـ 869م)، وأخذ عنه كتاب (البيان والتبيين) وغير ذلك من مؤلفاته،

(75) رسائل ابن حزم الأندلسي: 2/ 184؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص88، ابن الفرضي، القسم الثاني، ص29 ـ 30؛

Pons Boigues, Op. Cit., P. 50.

فأدخلها إلى الأندلس رواية عنه. وقد توفي في بليش من أعمال مالقة، والتي تعرف اليوم باسم (Velez Malaga). ولم يذكر ابن الفرضي[76] الذي ترجم للفرج بن سلام ترجمة مختصرة، سنة وفاته، أو أي كتاب من تصنيفه. ولكن عيسى الرازي[77]، ينقل عنه رواية تاريخية تعود أحداثها إلى سنة 240هـ/ 854م، وتدور حول موقف أهل طليطلة من الأمير محمد بن عبد الرحمن ومخالفتهم له بعد توليه الإمارة، وتعاونهم مع جيرانهم من النصارى في هذا السبيل. وتدل هذه الرواية على احتمال وجود تصنيف تاريخي للفرج بن سلام أطلع عليه عيسى الرازي، وفقد بعد ذلك، أو أنه كان قليل الأهمية بحيث لم يذكره ابن الفرضي كأحد مؤلفات الفرج بن سلام.

ويشير عيسى الرازي في رواياته إلى رسائل وكتب رسمية صادرة من الخلفاء الأمويين، أو واردة إليهم من مختلف الأماكن والجهات التي كانت تتبع الخلافة الأموية، لا سيما من شمال أفريقيا، حيث كان للخليفة الناصر لدين الله اهتمامات كبيرة، تخص محاولاته لاسترجاع سلطة الأمويين في المشرق. ويدل استخدام عيسى الرازي لهذه الرسائل، حصوله عليها بالنص، إلى اطّلاعه عن قرب على مكاتبات البلاط الأموي، وإنه كان قريب الصلة بما يدور فيه، فاستفاد من تلك الوثائق التي تكشف جانباً من جوانب السياسة الخارجية للخليفة الناصر لدين الله، واستخدامه للأمراء والمتنفذين في المغرب في سبيل تحقيق مصالح الدولة الأموية في الأندلس، والسيطرة على الشمال الأفريقي. ويمكن الاطلاع على نصوص بعض هذه الرسائل، التي تشير إلى

---

(76) تاريخ علماء الأندلس، القسم الأول، ص350.

(77) انظر هذه الرواية في المقتبس، تحقيق: مكي، ص295.

التقارير المفصلة الواردة والصادرة بشأن هذا الأمر، فيما تبقى من روايات عيسى بن أحمد المقتبسة عند ابن حيان[78].

ويتبين من النصوص المتبقية لتاريخ عيسى الرازي أنه اتبع طريقة الحوليات في تأليف الكتاب، فقد سار على الأحداث حسب السنوات الهجرية[79]. لكن هذه الطريقة لم تمنعه من الاسترسال في سرد أخبار عامة تتعلق بمختلف نواحي الحياة في المجتمع. فركز في ثنايا تاريخه على مسائل اجتماعية طريفة، منها روايته عن طفل ولد بشكل غير سويّ، ونما نمواً سريعاً غير اعتيادي، فجيء به إلى قرطبة لينظر في أمره. يقول عيسى الرازي عن هذا الطفل[80]: «فَعُنيت بشأنه وأنعمت الكشف عن حاله وولادته ونشأته، فأخذتها عن جده لأبيه الذي قدم به، وهو خلف بن يحيى بن أراقي بن خلف بن منتقم بن عبد الله بن بدر بن ناصح الفراش مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية، واسم الغلام عمر بن أراقي بن خلف، فأخبرني...». ويدل تتبع عيسى الرازي لنسب جد الغلام، وإيصاله إلى الحقبة المبكرة الأولى لاستقرار العرب في الأندلس، إلى تأثره الكبير باهتمامات والده أحمد الرازي بأنساب المسلمين في الأندلس.

يتبين مما سبق أهمية كتاب (تاريخ الأندلس) لعيسى بن أحمد الرازي. ولقد شعر المؤرخون الذين جاءوا بعده، كابن حيان، وابن الفرضي، وابن الأبار، وابن عذاري، وغيرهم، بهذه الأهمية،

---

(78) انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص306 ـ 370، 413، 415.

(79) انظر على سبيل المثال: المقتبس، تحقيق: مكي، ص320، 329، 341، 346، 360، 379، 393؛ المقتبس، تحقيق؛ شالميتا، ص357 ـ 362، 393، 395، 436.

(80) نقل ابن حيان هذه الرواية في: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص62 ـ 63.

فاستخدموا كتابه، واعتمدوه بشكل كبير، لا سيما ابن حيان، الذي أسماه بـ(صاحب التاريخ)(81)، ونقل عنه بإعجاب كبير أحداث الأندلس في مراحل مختلفة. ويتبين مدى اهتمام ابن حيان واعتماده على عيسى الرازي من النص الآتي، الذي يتحدث فيه عن استخدامه لهذا الكتاب(82).

«قال حيان بن خلف بن حيان مؤلف هذا التاريخ: هاهنا انقطع في كتاب عيسى الرازي - رحمه الله - الذي إليه رجعت في خبر دولة الحكم بن عبد الرحمن - رحمه الله - فنظمت منه كتابي هذا المؤلف المتصل بما قبله من أخبار سلفه خلفاء بني مروان بالأندلس إلى أن انقطع في نظامه عند إتياني على آخر أخبار سنة إحدى وستين وثلاثمائة بخرم واقع في أصله أفضى بي نقصه إلى أخباره في نصف سنة اثنتين وستين وثلاثمائة تلوها. فسقت وجدان توصيلها إمتاعاً لمطالعها بالحاصل منها، إلى أن يتيح الله تكميلها لي أو لسواي ممن يعتني بتكميل كتابي هذا، حرصاً على توخّي فائدته، إن شاء الله...».

ونحن لا نلوم ابن حيان لأسفه على فقدان جزء من كتاب عيسى الرازي، وعدم استطاعته استكمال أحداث النصف الأول من سنة 362هـ/972م وما بعدها، لأنه وهو القريب الصلة بالأحداث، شعر بأهمية الكتاب وضرورة اكتماله حتى يمكن الاستفادة منه في تدوين تاريخ الأندلس. والكتاب اليوم في عداد المفقودات، ولهذا فإن الأسف على ضياع هذا السفر الجليل كبير جداً، ولا يخفف منه سوى بقاء بعض النصوص التي احتفظ بها ابن حيان، وغيره من المؤرخين اللاحقين.

---

(81) المقتبس، تحقيق: مكي، ص265.

(82) المصدر نفسه، تحقيق: الحجي، ص95 - 96.

أما بالنسبة للكتاب الآخر الذي ألّفه عيسى الرازي للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، فهو أيضاً مفقود. وقد أشار ابن الأبار[83]، إلى نصوص قليلة نقلها عنه، منها النص الآتي الذي يشير فيه إلى اسم الكتاب: «وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازي في (كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس) من تأليفه، أن المنذر بن محمد استخلف يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين، بعد وفاة أبيه بأربع ليال، إذ كان غازياً بناحية رية...»[84]. وقد أورد هذا النص بمناسبة الحديث عن أحد الوزراء والحجاب المشهورين في الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وهو هاشم بن عبد العزيز. ومن الملاحظ على المعلومات المحدودة التي وصلتنا من هذا الكتاب، إنه لا يختص فقط بالكلام عن الحجاب، بل يشمل ملابسات تعيينهم، والأمراء في عهدهم، وكيفية معاملتهم، وخفايا السياسة الداخلية والمنازعات، وغيرها من المسائل الاجتماعية التي كانت تزخر بها الحياة العامة في قرطبة وغيرها من المدن في عهدي الإمارة والخلافة. لهذا يعد هذا الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية، لو وصلنا لأغنى المكتبة العربية، وأفاد الدراسات الأندلسية فائدة كبيرة. أما كتاب (الوزراء والوزارة في الأندلس)، فلم يصل إلينا منه نص صريح، حتى يمكن الجزم بمدى علاقته بكتاب (الحجاب) ويحتمل أنهما كانا كتاباً واحداً لأن الحجاب كانوا أيضاً وزراء للأمراء، مثل هاشم بن عبد العزيز المذكور أعلاه.

---

(83) انظر: الحلة السيراء: 1/ 136، 140، 258 ـ 259، 2/ 30.

(84) المصدر نفسه: 1/ 138.

الفصل الثالث

التدوين بعد أسرة الرازي

تركت مدرسة آل الرازي التاريخية أثراً كبيراً في الدراسات اللاحقة، لا سيما أحمد بن محمد بن موسى، الذي كان أول من أدخل قاعدة التقديم للتاريخ بالجغرافية، فأخذها عنه معظم من جاء بعده من المؤرخين. وسيتم التركيز فيما تبقى من هذا الكتاب على اثنين من هؤلاء الذين تأثروا بهذه الناحية. ويأتي أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض، الذي يعرف أيضاً بابن الفشاء في المقدمة.

ابن أبي الفياض

ولد هذا المؤرخ في مدينة إستجة Ecija في حدود سنة 375هـ/ 986م، لكنه عاش وعمل في مدينة المرية (Almeria)، التي تقع جنوب أسبانيا على البحر المتوسط. ومما يؤسف له أننا لا نجد تفصيلات كثيرة عن حياة هذا المؤرخ، ولا توجد له إلا ترجمة مقتضبة في كتاب (الصلة) لابن بشكوال، الذي أشار إلى أصله، وبعض شيوخه، ومؤلفه في (الخبر والتاريخ)، ووفاته سنة 459هـ/ 1066م بعد أن بلغ الثمانين من عمره[1].

وقد ذكر بعض الكتّاب المتأخرين ابن أبي الفياض وخصوه ببضعة أسطر لا تخرج في مجموعها عما أورده ابن بشكوال[2].

كان من جملة من اعتمد عليهم ابن أبي الفياض في سماعه ودراسته في مدينة المرية فقيه له إلمام بالحديث والتاريخ، هو أبو عمر

---

(1) ابن بشكوال، كتاب الصلة، القاهرة، 1966: 1/ 60.

(2) انظر: PONS Boigues, Op. Cit., pp. 138-139; بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص212؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص107. ومن الجدير بالملاحظة أن مؤنس يذكر ترجمة ابن بشكوال على أنها لابن الأبار في التكملة.

أحمد بن محمد بن عفيف[3]، والمهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة، وهو من الفقهاء المحدثين بالأندلس[4]. ومن المرجح أن هؤلاء الفقهاء أسهموا في تكوين الحس التاريخي والاستماع إلى الروايات المختلفة، وتقصي الأحاديث، والحرص على الأسناد عند ابن أبي الفياض. لكنه لم يعتمد عليهم اعتماداً كبيراً في تأليف كتابه (العبر) الذي هو كتاب تاريخي بالأساس، وبعيد عن مجال تخصص هؤلاء الشيوخ الدقيق في العلوم الدينية.

لم يبق من كتاب ابن أبي الفياض سوى قطعة صغيرة مخطوطة، ونصوص متفرقة احتفظ لنا بها بعض المؤرخين المتأخرين في مؤلفاتهم. وقد قمت قبل عدة سنوات بنشر هذه القطعة، التي هي على جانب كبير من الأهمية، لأنها تمثل جزءاً من كتاب مفقود عن تاريخ الأندلس[5] وفضلاً عن فقدان هذا الكتاب، فقد أهمله الكثير من مصنفي الفهارس والمعاجم الخاصة بالكتب، فلم يرد له ذكر في فهرسة ابن خير، ولا عند حاجي خليفة في (كشف الظنون)، ولكن كتّاباً آخرين أشاروا إلى هذا الكتاب (العبر أو العبرة)، مثل ابن حزم[6]، وابن الأبار[7]، وابن الشباط[8].

ومن ملاحظة الصفحة الأولى للقطعة المتبقية من هذا التاريخ نجد في نهايتها عبارة «تم الجزء الأول» الذي ينتهي بأحداث حملة طارق بن

---

(3) ابن بشكوال: 1/ 38؛ الضبي، ص150 ـ 151.

(4) الحميدي، ص352.

(5) انظر: عبد الواحد ذنون طه، نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج1، م34، 1983، ص162 ـ 193.

(6) رسالة في فضل الأندلس، في نفح الطيب، 3/ 182.

(7) الحلة السيراء؛ 2/ 310 ـ 312.

(8) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان)، ص164.

زياد، بينما يبتدىء الجزء الثاني بحملة موسى بن نصير. ويرى الدكتور مؤنس[9]، إن الجزء الأول ربما يكون جزءاً جغرافياً قياساً على التقليد الذي سار عليه مؤرخو الأندلس من التمهيد للتاريخ بالجغرافية. ويؤيد هذا الاتجاه ما ذكره عبد الواحد المراكشي[10]، من أن ابن أبي الفياض ألّف كتاباً في (الممالك والمسالك). ولكننا لا نجد في المصادر المتوفرة لدينا ما يؤيد تأليف ابن أبي الفياض لكتاب مستقل في المسالك والممالك، مما يحمل على القول بأن مقدمة كتاب (العبر) الجغرافية كانت من الطول بحيث أدرجها المراكشي ضمن كتب المسالك والممالك[11]. وعلى الرغم من أننا لا نمتلك شيئاً من تأليف ابن أبي الفياض في الجغرافية، ولكن استناداً إلى ما ذكر أعلاه يمكن القول بأن الجزء الأول من كتابه (العبر) لا بد وأن يكون جغرافياً. ويؤيد هذا الاتجاه أيضاً، إن المؤلف المجهول لكتاب (ذكر بلاد الأندلس) يذكر اسم ابن أبي الفياض ضمن المؤلفين الذين اعتمد عليهم في كتابة معلوماته عن وصف بلاد الأندلس وجغرافيتها[12].

ويظهر من نص القطعة المتبقية، ومن النصوص الأخرى المتفرقة لهذا الكتاب، أنه يضم بعد المقدمة الجغرافية، نبذة عن تاريخ الأندلس القديم، والأساطير التي كان يتداولها الناس عن ملوك البلد في العهود السحيقة[13]، وكذلك أخبار أول من دخل جزيرة الأندلس وملكها،

---

(9) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص106.

(10) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963، ص431.

(11) قارن: مؤنس، المرجع السابق، ص107.

(12) ذكر بلاد الأندلس وفضلها، ص29.

(13) انظر رواية أبي الفياض عن أشبان ملك الأندلس ولقائه مع الخضر عليه السلام في: وصف الأندلس، لابن الشباط، ص166، 172.

والسبب في تسمية الأندلس بهذا الاسم. ثم ينتقل بعد ذلك إلى ممهدات الفتح، والأساطير التي تروى عن لذريق ملك القوط، ودخوله إلى بيت الحكمة، أو بيت الملوك. ثم يتحدث عن حملة طريف بن مالك الاستطلاعية إلى الأندلس، وبعد ذلك يشرع في سرد حوادث الفتح في عهد طارق بن زياد وموسى بن نصير[14]. ثم يتحدث عن عصر الولاة وعصري الإمارة والخلافة إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. ولدينا روايات أخرى من كتاب (العبر) تؤرخ لأحداث عاصرها المؤلف، وجرت في أوائل هذا القرن، وهي عن الخليفة الأموي سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمستعين بالله (400 ـ 407هـ/ 1009 ـ 1016م)، وكذلك ما يرويه ابن أبي الفياض عن محمد بن عبد الملك المظفر بن أبي عامر المنصور المتوفى سنة 421هـ/ 1030م وسيطرته على بعض أجزاء شرق الأندلس، وعلاقته مع خيران العامري[15].

ويبدو أن هذا الكتاب يختص بتاريخ الأندلس بالدرجة الأولى. ولكن ابن عذاري ينقل أحد النصوص عن ابن أبي الفياض، وذلك أثناء كلامه عن حملة عقبة بن نافع الفهري على السوس الأقصى[16].

ويشير هذا الأمر ضمناً أنه ربما تحدث أيضاً عن تاريخ العرب في شمال أفريقيا، ولكن لا تتوفر معلومات أخرى لتأييد هذا الافتراض. ولا تقتصر معلومات كتاب (العبر) على الأحداث التاريخية الصرفة،

---

(14) ابن أبي الفياض في المصدر السابق، ص128، 132، 167، 168.

(15) ابن أبي الفياض برواية ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني الخاص بأسبانيا، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956، ص77.

(16) ابن أبي الفياض في: البيان المغرب: 1/ 27.

ويظهر من النص الآتي الذي ينقله عبد الواحد المراكشي، أن الكتاب كان يعنى أيضاً بالأمور الثقافية فضلاً عن المسائل السياسية: «حكى ابن (أبي) الفياض في تاريخه في أخبار قرطبة قال: كان بالربض الشرقي من قرطبة مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها؟»[17].

ففي هذا النص معلومات إحصائية مفيدة عن دور المرأة من الحركة العلمية في قرطبة، ومن المحتمل لو أننا عثرنا على هذا الكتاب أن تزداد معلوماتنا بشكل كبير عن هذه الناحية المهمة في الأندلس.

اعتمد ابن أبي الفياض في كلامه على جغرافية الأندلس وتاريخها قبل الإسلام. على جغرافيين ومؤرخين سبقوه أو عاصروه. ونذكر على سبيل المثال، العذري، الذي سنتحدث بعد قليل عنه وعن دوره في تدوين التاريخ في الأندلس. ولا بد أن يكون ابن أبي الفياض قد اطلع على مؤلفات أحمد بن محمد الرازي الجغرافية والتاريخية، واستفاد منها، وعلى الأخص في تنظيم كتابه وتجزئته إلى جزئين، أحدهما خاص بالجغرافية، والآخر بالتاريخ، وهو الأسلوب الذي سار عليه العديد من المؤرخين الأندلسيين بعد أحمد الرازي. ومن المؤرخين الآخرين الذين نقل عنهم ابن أبي الفياض، عبد الملك بن حبيب السلمي، حيث يشير في نهاية حديثه عن فتح مدينة ماردة إلى اعتماده عليه في هذا الخبر[18]. ولكن المطبوع من كتاب ابن حبيب ليس فيه إشارة إلى هذا الخبر، ولهذا، ربما كان أبي الفياض ينقل من نسخة

(17) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص456 ـ 457.

(18) انظر، ابن أبي الفياض «نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض»، مجلة المجمع العلمي العراقي المذكورة سابقاً، ص184.

أخرى لم تصل إلينا[19]. وعلى أي حال، فإن بعض المعلومات التي أوردها ابن أبي الفياض تتشابه مع ما كتبه ابن حبيب، لا سيما الاهتمام بالأساطير، مما يؤيد أخذ ابن أبي الفياض عن كتاب (التاريخ) لابن حبيب[20]. ويشير في الوقت نفسه إلى أن تدوين التاريخ، حتى ذلك الوقت المتأخر، لم يستطع أن يتخلص من التأثر بمثل هذه الروايات، وكذلك بالروايات المشرقية، التي أسلفنا الحديث عنها في أثناء الكلام عن عبد الملك بن حبيب السلمي.

وينقل ابن أبي الفياض أيضاً عن أبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية. ولدينا نص ذكره ابن الشباط يعتمد فيه ابن أبي الفياض على ابن القوطية في تثبيته لاسم آخر ملوك القوط على أنه (لذريق) وليس (ذريق)[21]. ويعتمد ابن أبي الفياض أيضاً رواية ابن القوطية بخصوص العلاقة بين أولاد غيطشة، الملك القوطي، وطارق بن زياد، حيث إنهم فضلوا التعاون مع المسلمين مقابل تأمين ضياعهم في الأندلس التي تبلغ نحو ثلاثة آلاف ضيعة[22]. وفي هذا دليل على استيعاب هذا المؤرخ للتجربة الأندلسية في مجال التدوين التاريخي، وتوظيفه المعلومات السابقة في خدمة كتابه (العبر)، والاهتمام بالرجوع إلى المصادر المتخصصة في ذكر الأحداث التي يرويها، حيث إن ابن القوطية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، من أفضل المؤرخين الذين تناولوا أوضاع أسرة غيطشة، وعلاقاتهم مع العرب الفاتحين، لأنه ينتمي بالأصل إلى هذه الأسرة، ويهتم بأخبارها.

---

(19) راجع ابن حبيب، استفتاح الأندلس، ص221 ـ 243.

(20) انظر: المصدر نفسه، ص225.

(21) ابن أبي الفياض في صلة السمط، ص168.

(22) المصدر نفسه، ص169 ـ 170، وانظر: ابن القوطية، تاريخ استفتاح الأندلس، ص3 ـ 4، 8.

وحينما يؤرخ ابن أبي الفياض لأحداث قريبة من المدة التي عاش فيها، يعتمد على ملاحظاته الخاصة، أو يقول: «أخبرني أحد أخواني»[23]، أو يعتمد على من عاصره من المؤرخين الذين ينقلون عن رواة شاهدوا أو حضروا الأحداث، مثال ذلك ما يرويه عن ابن حزم فيقول: «أخبرنا الفقيه أبو محمد علي بن أحمد قال: أخبرني محمد بن موسى بن عزون، قال: أخبرني أبي قال: اجتمعنا في متنزه لها بجهة الناعورة بقرطبة، ومعنا ابن أبي عامر، وهو في حداثته...» ثم يذكر الرواية التي يتطلع فيها ابن أبي عامر المنصور إلى ملك الأندلس، ويطلب فيها من أصدقائه أن يتمنوا عليه بما يريدون أن يتولوا من مناصب حينما يتحقق حلمه[24]. ويروي ابن أبي الفياض بعض الأحداث المهمة التي عاصرها. وقد احتفظ ببعض هذه الروايات ابن الأبار، وهي عن الخليفة الأموي سليمان بن الحكم، فيروي عنه، وعن نماذج من شعره، وعن أخباره قبل توليه الخلافة وبعدها، وكل ذلك نقلاً عن صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن[25]. وهذا الأخير من أهل الدراية والمعرفة والرواية، وهو من مدينة المرية، توفي سنة 462هـ/1069م[26]. وقد احتفظ لنا ابن الخطيب أيضاً بما أورده ابن أبي الفياض عن بقايا العامريين في عهده، ونشاطهم في الأندلس[27] وهذه الأخبار، بطبيعة الحال، على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تمثل رواية شاهد عيان، عاصر الأحداث، ورواها.

(23) الحلة السيراء: 2/ 11.

(24) أعمال الأعلام، ص77 ـ 78.

(25) الحلة السيراء: 2/ 10 ـ 11.

(26) ابن بشكوال: 1/ 236 ـ 237.

(27) أعمال الأعلام، ص193 ـ 194.

من هذا يتبين مدى أهمية كتاب (العبر) لابن أبي الفياض، وقد أدرك هذه الأهمية عدد كبير من المؤرخين الذين جاءوا بعده، فاعتمدوه في كتبهم، نذكر على سبيل المثال، ابن عذاري المراكشي، الذي أشار إليه في أثناء كلامه عن شمال أفريقيا[28]، وكذلك حينما تحدث عن محمد بن إبراهيم بن حجاج صاحب مدينة قرمونة (Carmona) بالأندلس[29]. ويعتمد ابن الأبار على هذا الكتاب أيضاً، فقد نقل عنه رواية مطولة عن غزوة المنصور بن أبي عامر إلى مدينة برشلونة (Barcelona). وفي هذا النص بالذات، نلاحظ محاولة ابن أبي الفياض في تحري التواريخ التي يذكرها، ومقابلتها مع التاريخ الميلادي[30].

وينقل عبد الواحد المراكشي، كما ذكرنا سابقاً، نصاً عن ابن أبي الفياض عن أخبار قرطبة. وكذلك يعتمد المقري على أحد نصوص ابن أبي الفياض التي تروي قصة الأمير عبد الرحمن بن الحكم وبعض فقهاء قرطبة، حين جمعهم في مقره للنظر في إصدار فتوى شرعية للأمير[31]. ولكن يبدو أن أكثر المؤرخين استفادة من كتاب (العبر)، هو ابن الشباط، الذي أورد له نقولات عديدة، أشرنا إلى بعضها عرضاً في أثناء الحديث عن الكتاب. وهناك أخيراً بعض التشابه بين ما يورده ابن أبي الفياض، في القطعة المتبقية من تاريخه، عن مدد حكم الولاة، وبين ما

(28) البيان المغرب: 1/ 27؛ وانظر عبد الواحد ذنون طه، موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال أفريقيا من الفتح إلى بداية عهد المرابطين، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج4، م36، ص242.

(29) البيان المغرب؛ 2/ 129؛ وانظر عبد الواحد ذنون طه، موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج4، م37، ص334 ـ 336.

(30) الحلة السيراء؛ 2/ 312 ـ 313.

(31) نفح الطيب؛ 2/ 10.

يذكره ابن الخطيب في كتابه (أعمال الأعلام). وهذا يشير إلى أن ابن الخطيب قد نقل هذه المعلومات من كتاب (العبر)، وإن لم يذكر ذلك[32]. ولكن ابن الخطيب يشير في فقرة تالية إلى اسم ابن أبي الفياض، حيث ينقل عنه رواية عن الأمير عبد الرحمن بن معاوية[33].

وقد احتفظ لنا ابن الخطيب أيضاً ببعض الروايات الأخرى المنقولة عن كتاب (العبر)، والتي أشرنا إليها في أثناء الحديث عن ابن أبي الفياض ومصادر كتابه.

(32) قارن: أعمال الأعلام، ص6 ـ 7.

(33) المصدر نفسه، ص7.

أحمد بن عمر العذري

عاصر ابن أبي الفياض شخصية أخرى، كان لها اهتمام بالتاريخ والجغرافية، ذلك هو أحمد بن عمر بن أنس العذري (ولد في الرابع من ذي القعدة سنة 393هـ/ 1002م، وفي آخر شعبان سنة 478هـ/ 1085م). وهو ينتسب إلى قبيلة عذرة العربية، التي استقرت في الأندلس بعد أن فتحها المسلمون. وكانت قرية دلاية (Dalias) التي تقع في محافظة المرية الحالية (Almeria) في الجنوب الشرقي من أسبانيا، من أهم مراكز استقرار هذه القبيلة[34]. رحل العذري مع أبويه إلى الشرق في طلب العلم، ودرس على يد جماعة من المحدثين في الحجاز، والعراق، وخراسان[35]. وعندما رجع إلى الأندلس، عُرف برواية الحديث وإقرائه وضبطه. وكان موثوقاً لدى المهتمين بهذا العلم، جليل القدر، عالي الإسناد. ولكن كان للعذري اهتمامات أخرى في التاريخ والجغرافية، وإن لم يتطرق إلى ذكر ذلك كثير ممن ترجم له[36].

---

(34) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص450.

(35) ابن بشكوال: 1/ 66 ـ 67، وانظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة؛ (دلاية)، بيروت، 1957، 2/ 460.

(36) قارن؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص532.

ذكر ابن خير الأشبيلي أحد مؤلفات العذري، وهو (افتضاض أبكار أوائل الأخبار)[37]، الذي يدل عنوانه على أنه كتاب في موضوع التاريخ، لكنه، وكما يفهم مما ذكر ابن خير، كان عبارة عن مختارات منتقاة من كتب الحديث، تتصل بالقضايا الفقهية التي ظهرت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام[38]، وللعذري كتاب آخر أشار إليه ياقوت عنوانه (أعلام النبوة)[39]. ولم يصل إلينا هذان الكتابان، كما لم يصل إلينا إلا قطعة صغيرة من كتابه الجغرافي التاريخي (ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك) لا تتجاوز عُشْرَ الكتاب، يدور معظم أخبارها عن الأندلس. وقد قام الدكتور عبد العزيز الأهواني بتحقيق ونشر هذه القطعة الثمينة في مدريد عام 1965، فأسدى لذلك خدمة عظيمة الأهمية للدراسات الأندلسية.

والذي يهمنا في هذه القطعة هي المادة التاريخية التي وردت فيها، والتي تسد نقصاً واضحاً في معرفتنا عن تاريخ الأندلس، لا سيما منطقة الثغر الأعلى، ومنطقة تدمير في جنوب شرق أسبانيا الحالية. والمنطقة الأخيرة هي أولى المناطق التي يبدأ العذري بالحديث عنها، فيذكر فتحها، ويتعرض إلى الاتفاقية التي عقدها عبد العزيز بن موسى بن نصير مع حاكمها تدمير (Theodimero). ثم يذكر عرضاً الفتنة بين المضرية واليمانية في المنطقة، ويبحث أخيراً في ثوارها بالتفصيل. وتعد معاهدة الصلح التي أوردها العذري بين المسلمين والحاكم

(37) فهرسة ابن خير، منشورات دار الآفاق عن الطبعة الأوروبية التي نشرها خليان رابيرا في سرقسطة، 1893، ص222.

(38) المصدر نفسه، ص473.

(39) معجم البلدان؛ 2/ 460.

القوطي (تدمير) من أهم المواد التاريخية في هذا الجزء من الكتاب، لأن العذري من المؤرخين الأوائل الذين ذكروا هذه المعاهدة بالنص، بل هو أقدم من أشار إليها من المؤلفين العرب[40].

وهكذا يستمر العذري بالحديث عن أقاليم وكور الأندلس، فينتقل إلى بلنسية (Valencia)، وسرقطة (Zaragoza)، دوشقة (Huesca) أشبيلية، وشذونة (Sidonia)، وغيرها من مناطق شبه الجزيرة الآيبيرية. وفي الكتاب أيضاً معلومات قيّمة عن غزوات الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر إلى أراضي دول أسبانيا النصرانية. وكذلك عن الأحداث التي وقعت في البيرة، والمرية منذ سنة 320هـ/ 932م إلى عهد العذري. وهذه المادة الأخيرة من أهم مواد الكتاب، لأنه عاصرها، وهي تتعلق بمدينته التي عاش فيها. ويتبين من هذه النصوص جميعاً أن كتاب العذري ما هو في الواقع إلا كتاب تاريخ وجغرافية في آن واحد. فالعذري يمزج التاريخ بالجغرافية، كما فعل أحمد الرازي، الذي سبقت الإشارة إلى دوره في هذا المجال. كما أشرنا أيضاً إلى دور ابن أبي الفياض، الذي تأثر هو الآخر بهذا المنهج في التدوين، وكان معاصراً للعذري، حيث سكن الاثنان مدينة المرية، ومن المرجح أنهما التقيا، وأثّر كل منهما في الآخر، لا سيما في اتجاههما نحو التاريخ والجغرافية[41].

إن طريقة العذري في تدوين كتابه تتلخص بذكر المعلومات الجغرافية عن كل موضع، ثم سرد تفاصيل الأخبار التاريخية المتعلقة بذلك المكان منذ الفتح، وأحياناً منذ عهد القوط، والعهود التي سبقتهم

(40) العذري، ص4 ـ 5.

(41) انظر: طه، نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض، ص167.

إلى الزمان الذي عاش فيه هو. لكنه يسير أحياناً في كتابة التاريخ على وفق السنوات، لا سيما في ذكر الحادثة الواحدة، فيلاحق تطورها في عهود الأمراء المتتابعين[42].

ويهتم العذري بتسجيل الكوارث الطبيعية التي حلت بالبلد الذي يؤرخ له، من ذلك مثلاً، الزلازل التي ضربت منطقة تدمير وأوريولة بعد سنة 440هـ/1048م، وما أعقب ذلك من نتائج مؤسفة وخسارة في الممتلكات والأنفس[43]. وللعذري أيضاً نظرات في المجتمع الذي يؤرخ له، فهو لا يهمل المسائل الاجتماعية، بل يهتم بها، ويعطي انطباعه عن المدينة وأهلها، فيصف أهل بلنسية مثلاً بقلة الهم فيقول: «لا تكاد ترى فيها أحداً من جميع الطبقات إلا وهو قليل الهم، مليئاً كان أو فقيراً قد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات والفرج، ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك، وإنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني. يقولون: عند فلان عوادان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك. وقد أخبرت أن مغنية بلغت في بلنسية أكثر من ألف مثقال طيبة. وأما دون الألف فكثيرات...»[44]. وربما كان في كلام العذري بعض المبالغة في إظهار هذا الجانب. فلأهل بلنسية اهتماماتهم الأخرى التي تشمل نواحي عديدة في حياة المدينة العلمية والثقافية[45].

والعذري، كمعظم مؤرخي هذه الحقبة في الأندلس، يلتزم جانب

(42) قارن: العذري، ص35 ـ 36.

(43) المصدر نفسه، ص8.

(44) المصدر نفسه، ص18.

(45) انظر: كريم عجيل حسن، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976.

الحكام. فنراه يميل إلى الأسرة الأموية التي حكمت الأندلس، بل ينظر إليها نظرة فيها نوع من التقديس، لأن الأمير هو حامي المسلمين، وهو الإمام الشرعي. ولهذا نراه يستعمل لقب (الإمام) حين يذكر اسم معظم الأمراء الأمويين[46]. ويشاطره في هذا الاتجاه من المعاصرين له ابن حزم القرطبي، الذي كان يميل إلى الأمويين ويعتقد بصحة إمامتهم. ويبدو أن السبب في هذا يعود إلى ظروف العصر الذي كان يعيش فيه هؤلاء المؤرخون، حيث حلت النكبات والكوارث بالأندلس بعد سقوط الدولة الأموية والخلافة في قرطبة سنة 422هـ/ 1031م، وما أعقب ذلك من اضطراب وانعدام الأمن. مما دفع هؤلاء إلى النظر إلى الوراء بعين التقدير، واعتبار عهد الأمويين في الأندلس من العهود الزاهرة التي حققت وحدة المسلمين، وجمعت كلمتهم تحت راية إمام واحد، هو الأمير الأموي[47].

ويتميز العذري بالدقة في ذكر التواريخ، ويستعمل التاريخ الهجري عادة، لكنه يقرن في بعض الحالات التواريخ الميلادية مع التواريخ الهجرية. ويكون استعماله للتاريخ الميلادي مضبوطاً. فعلى سبيل المثال، حين يتحدث عن تمرد إسماعيل بن موسى بن فرتون بن قسي في الثغر الأعلى يقول:

«ثم ترددت الصوائف على إسماعيل بن موسى بمدينة سرقسطة، غزته بها صائفة سنة خمس وستين ومائتين، فاحتلت بموضع يعرف بالكنيسة يوم الخميس لأربع أيام ماضية من يونية الكائن في شوال، وقوتل ذلك اليوم، ثم خطرت الصائفة بسرقسطة يوم الاثنين لثمانية

---

(46) العذري، ص26، 27، 29، 30، 37.

(47) انظر: طه، دراسات في التاريخ الأندلس، ص161.

ماضية ليونية، ونزل الجيش خلف الصد فورتش فأفسد الزروع وأحرقها بقرى شلون اثنا عشر يوماً. ثم انتقل الجيش من شلون إلى برجة يوم الجمعة لسبعة عشر يوماً ماضية ليونية فاكتسحت برجة وطرسونة وأسكانية ثم احتل العسكر بتطيلة يوم الجمعة لثلاثة أيام باقية ليونية الكائن في ذي القعدة»[48].

وحساب العذري هنا صحيح لأن حزيران أو يونية سنة 879م يقابل بالفعل شوال و(ذو القعدة) من سنة 265هـ[49].

أما مصادر مادة العذري التاريخية فتختلف باختلاف المادة التي يؤرخ لها، والعصر الذي يكتب عنه، فحين يتحدث عن التاريخ القديم للأندلس ويسرد الأحداث التي وقعت قبل دخول الإسلام إلى البلاد يعتمد كتباً أرخت لهذه الأخبار القديمة. وهو ينص صراحة على أخذه من هذه الكتب، فيقول في حديثه عن تاريخ أشبيلية الأول مثلاً: «ويذكر في بعض الكتب المؤرخة للأخبار القديمة أن أشبان بن طيطش...»[50]. ويبدو أن أهم هذه الكتب القديمة التي اعتمدها العذري هي (كتاب التاريخ) لهروشيش الذي أشرنا إليه سابقاً، وإلى ترجمته من قبل قاسم بن أصبغ البياني والوليد بن الخيزران قاضي النصارى في قرطبة للحكم المستنصر. وقد استفاد العذري من هذه الترجمة، أو نقل منها عن طريق أحمد الرازي، الذي استخدم هذا الكتاب، واستفاد منه في وضع مقدمة جغرافية لتاريخه عن الأندلس.

(48) العذري، ص33.

(49) انظر: فريمان ـ جرنفيل، التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة: حسام محيي الدين الألوسي، بغداد، 1970، ص35.

(50) العذري، ص97.

وتشير شروحات العذري لتفاسير أسماء المدن التي يتحدث عنها وعن أصولها إلى اعتماده على هذا الكتاب من ذلك مثلاً حين يتحدث عن سرقسطة يقول إن تفسير اسمها باللسان اللاتيني هو «جاجر أغشت، وهو مشتق من اسم قيصر أوغسطوس وهو الذي بناها...»[51]. واسم المدينة باللغة اللاتينية هو (Caesarea Augusta) ويقابل لفظ (جاجر) كلمة (Cesar). وقد ورد ذلك في الترجمة العربية لتاريخ هروشيش[52]. ويذكر العذري أيضاً أن تفسير لورقة باللاتيني هو (Lorca) الدرع الحصين[53] وتفسير أوريولة (Orihuela) الذهبية[54].

ومن الكتب القديمة الأخرى التي اعتمدها العذري، كتاب سان إزيدور الأشبيلي St. Isidore of Seville عن (تاريخ القوط والوندال والسويف). وقد ذكر العذري هذا المؤلف باسم أشيذز، ووصفه بأنه كان عالماً بعلم الكتاب[55] وكلام العذري عن القوط يكاد يتفق تماماً مع ما جاء من حقائق تاريخية في كتاب سان إزيدور الأشبيلي[56].

وتختلف المصادر التي استقى منها العذري أخباره عن الأحداث

(51) المصدر نفسه، ص21.

(52) المصدر نفسه، تعليق المحقق، ص148.

(53) المصدر نفسه، ص1.

(54) المصدر نفسه، ص10.

(55) المصدر نفسه، ص98. وكان سان أزيدور من كبار العلماء في العصور الوسطى، ولد سنة 506م، وأصبح أسقفاً لمدينة أشبيلية. وظل في هذا المنصب حتى وفاته سنة 636م. وفضلاً عن كتابه الآنف الذكر الذي ينقل منه العذري، كان له مؤلفات أخرى منها الحولية الكبيرة Chronica Maiora وهي عالمية تبدأ بخلق العالم وتنتهي بسنة 615م. انظر مقدمة الترجمة الإنكليزية لكتاب سان أزيدور؛ History of the Goths, Vandals and Suevi, translated from the Latin by Gordon. D. Ford, Leiden, 1970, P. VII.

(56) لمزيد من التفاصيل والمقارنات راجع: طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، ص156 - 157.

التي وقعت بعد دخول المسلمين إلى الأندلس، وذلك حسب طبيعة هذه الأحداث، والمدد التي وقعت فيها. فبالنسبة إلى الأحداث التاريخية التي سبقته، كان معظم اعتماده على مؤرخين ثقاة لهم باع طويل في كتابة تاريخ الأندلس، من أمثال أحمد الرازي، وابنه عيسى، ولكنه لا يشير إليهما إلا في مناسبات قليلة(57) بل يكتفي أحياناً بذكر اسمه فقط فيقول: «قال أحمد بن عمر...»(58)، أو «ذكر أهل التواريخ لأهل الأندلس»(59). وقد تكون في بعض الأحيان غامضة لا يمكن الاهتداء إليها، لكنها تعتمد على الاتصال المباشر بالناس والنقل الشفوي، فيذكر على سبيل المثال العبارات الآتية: «وأخبرني جماعة...»(60)، أو «وحدثني بهذه القصة جماعة من حذاق الناس»(61)، أو «حدثني بذلك جماعة من أهل سرقسطة»(62).

ويوضح العذري كيفية حصوله على بعض الأخبار بالتفصيل وذلك عن طريق التحقيق الشخصي والاستقصاء من العارفين ببواطن الأمور ممن عاصروه، من ذلك مثلاً سؤاله لقاضي سرقسطة عبد الله بن محمد بن فورتش عن قبرين يقال إنهما كان يعودان لاثنين من التابعين دخلا مع موسى بن نصير إلى الأندلس(63). وكذلك روايته لخبر مؤامرة دبرها بعض أهالي لورقة على عبد الرحمن بن وضاح المتسلط على المدينة، لتسليمها إلى الخليفة الناصر لدين الله، وكيف أن ابن وضاح

(57) انظر: العذري، ص25، 28، 42، 49، 64.

(58) المصدر نفسه، ص21، 41.

(59) المصدر نفسه، ص90.

(60) المصدر نفسه، ص6.

(61) المصدر نفسه، ص6.

(62) المصدر نفسه، ص24.

(63) المصدر نفسه، ص23.

استطاع أن يكشف تلك المؤامرة ويعاقب القائمين بها. يقول العذري: «ولقد سألت الوزير أبا عثمان سعيد بن بشتغير عن ذلك، فأراني عقداً تضمن هذه القصة فيه شهادة مشاهير مرسية وثقاتها»[64]. وهكذا نجد العذري يحاول التأكد من الخبر وضبطه، وذلك عن طريق استشارة من لهم صلة بالأمر، من أمثال سعيد بن بشتغير، الذي كان من وجوه أهل مدينة لورقة وأعلامها[65].

أما الأسلوب الذي استخدمه العذري في الكتابة، فهو أسلوب جميل يتميز بعبارات موجزة، ولكن فيها حبك وطراوة، وتعطي للحادثة التاريخية مغزاها بحيث يتمكن القارىء من فهمها بسهولة ويسر وهذا الأسلوب يضاهي أساليب المؤرخين الأندلسيين الآخرين الذين سبقوه، لا سيما أحمد الرازي وابنه عيسى.

ولكن على الرغم من تأخر العذري، وابن أبي الفياض في الزمن عن عصر أحمد الرازي وابنه عيسى، لم يستطيعا أن يحدثا نقلة نوعية في تدوين التاريخ الأندلسي، واستمرا في السير على منوالهما، ومنوال من سبقهما من المؤرخين، والتأثر بهم في مجال التأليف، واختيار الموارد، ومزج التاريخ بالجغرافية. وهكذا ظلت مؤلفات أحمد وعيسى الرازي هي الأساس الذي تستند إليه كل المحاولات التالية، لأنها تعد قمة ما وصل إليه التدوين التاريخي في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ولم تحظ الأندلس بمثل هذين المؤرخين إلا في القرن التالي، أي الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث برز أبو مروان حيان بن خلف بن حيان (توفي سنة 469هـ/ 1076م) الذي

(64) المصدر نفسه، ص9.

(65) المصدر نفسه، ص2.

يُعد بحق من أعظم مؤرخي الإسلام، بل هو أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس، والغرب كله طوال العصور الوسطى. وقد وصل التدوين التاريخي في عهده أوج عظمته، ولم يعد علماً ناشئاً، كما كان في بداية الوجود العربي الإسلامي في الأندلس. ولهذا نرى بأن حدود هذه الدراسة يجب أن تقف عند هذه النقطة، لأن دراسة ابن حيان، وإنتاجه، وإسهامه في تدوين التاريخ العربي في الأندلس، تدخل ضمن طور القمة والنضوج، وتخرج عن دور النشأة والتكوين.

قائمة المصادر والمراجع

(أ) المصادر الأولية:

* **ابن الأبار، أبو عبد الله محمد القضاعي البلنسي (ت658هـ/ 1260م).**

1 ـ التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار، القاهرة، 1955 ـ 1956، وقطعة أخرى نشر: الأركون وكونثاليث بالنثيا: (Apendice a La Edicion Codera de La Tekmila de Aben Al-Abbar), in Miscelanea de Estudios Y Textos Arabes, Madred, 1915.

2 ـ الحلة السيراء، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1963.

* **الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت703هـ/ 1303م).**

3 ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول بقسميه، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، بدون تاريخ، السفر الخامس بقسميه، والسادس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1973.

* **ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/ 1183م).**

4 ـ كتاب الصلة، القاهرة، 1966.

* **ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت399هـ/ 1008م).**

5 ـ طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، 1955.

* **ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/ 852م).**

6 ـ استفتاح الأندلس، تحقيق: د. محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، 1957.

* **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ/ 1063م).**

7 ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1962.

8 ـ رسالة في فضل الأندلس، نقلها المقري في نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، جـ3، ص156 ـ 186. وطبعة أخرى ضمن: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، جـ2، بيروت، 1981.

* **الحميدي، محمد بن أبي نصر (ت488هـ/ 1095م).**

9 ـ جذوة المقتبس، القاهرة، 1966.

* **ابن حيان، حيان بن خلف (ت469هـ/ 1079م).**

10 ـ المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، 1965.

11 ـ المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، 1973.

12 ـ المقتبس، تحقيق: ب شالميتا وآخرين، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979.

* **الخشني، محمد بن حارث (ت360هـ/ 971م).**

13 ـ قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.

14 ـ طبقات المحدثين بالأندلس، مخطوط المكتبة الملحقة بالقصر الملكي بالرباط رقم (6196).

* **ابن الخطيب، لسان الدين محمد (ت776هـ/ 1374م).**

15 ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ج2، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973، 1974.

16 ـ أعمال الأعلام، القسم الثاني الخاص بأسبانيا، نشر: ليفي بروفنسال، بيروت، 1956.

* **ابن خير، ابن خير الأشبيلي.**

17 ـ فهرسة ابن خير، منشورات دار الآفاق العربية عن الطبعة الأوروبية التي نشرها خليان رايبيرا في سرقسطة، 1893.

* **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م).**

18 ـ كتاب العبر وديوانه المبتدأ والخبر، بيروت، 1956 ـ 1961.

* **الرازي، أحمد بن محمد بن موسى (ت344هـ/ 955م).**

19 ـ Cronica del Moro Rasis.

نشر: د. كاتلان، مدريد 1975.

20 ـ La Cronica del Moro Rasis.

نشر: باسكال دي جانيجوس في:

• (Memoria sobre La autenticidad de La Cronica donominada del Moro Rasis), Memorias de La Real Academia de La Historia, VIII, Madrid, 1852, PP. 67-100.

21 ـ (La Description de L'Espagne d'Ahmad al-Razi), Al-Andalus, XVII, 1953, PP. 51-108.

نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال.

22 ـ Fragmentos ineditos de La Cronica lamada del Moro Rasis.

نشرها: سافيدرا ملحقاً لدراسته عن فتح المسلمين للأندلس.

* **ابن الشباط، محمد علي التوزري (ت681هـ/ 1282م).**

23 ـ صلة السمط وسمة المرط (نص ابن الشباط)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد، 1971.

* **الضبي، أحمد بن يحيى (ت599هـ/ 1202م).**

24 ـ بغية الملتمس، نشر: فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884.

* **ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً في 712هـ/ 1312م).**

25 ـ البيان المغرب، جا وج2، نشر: كولان وليفي بروفنسال ليدن، 1948.

* **العذري، أحمد بن عمر (ت478هـ/ 1085م).**

26 ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مدريد، 1965.

* **الغساني، محمد بن عبد الوهاب (ت1119هـ/ 1707م).**

27 ـ رحلة الوزير في افتكاك الأسير، مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد رقم (5304).

* **ابن الفرضي، عبد الله بن محمد (ت403هـ/ 1013م).**

28 ـ تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966.

* **ابن قتيبة (المنسوب) أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/ 889م).**

29 ـ الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ.

* **ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/ 977م).**

30 ـ تاريخ افتتاح الأندلس، نشر: خوليان رايبيرا، مدريد، 1926.

* **مجهول المؤلف.**

31 ـ أخبار مجموعة، نشر: لافوينتي القنطرة، مدريد، 1867.

* **مجهول المؤلف.**

32 ـ الرسالة الشريفية، نشرت ملحقاً لكتاب ابن القوطية، ص191 ـ 214، وهي على ما يعتقد جزء من كتاب رحلة الوزير للغساني.

* **مجهول المؤلف.**

33 ـ ذكر بلاء الأندلس، نشر: لويس مولينا، مدريد، 1983.

* **مجهول المؤلف.**

34 ـ فتح الأندلس، نشر: دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889.

* **المراكشي، عبد الواحد بن علي (647هـ/ 1249م).**

35 ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963.

* **المقري، أحمد بن محمد (ت1041هـ/ 1631م).**

36 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

* **ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين الحموي (ت626هـ/ 1226م).**

38 ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1957.

(ب) المراجع الثانوية:

* **بالنثيا، أنخل جنثاليث.**

39 ـ تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، 1955.

* **بروكلمان، كارل.**

40 ـ تاريخ الأدب العربي، جـ3، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة، 1969.

* حسين، كريم عجيل.

41 ـ الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، بيروت، 1976.

42 ـ دائرة المعارف الإسلامية مادة (الرازي).

* الدوري، عبد العزيز.

43 ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960.

* روزنثال، فرانتز.

44 ـ علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، بغداد، 1963.

* الشكعة، مصطفى.

45 ـ مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، بيروت، 1974.

* صادق، جعفر حسن.

46 ـ الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق في عصر الإمارة، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل، 1985.

* طه، عبد الواحد ذنون.

47 ـ حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988.

48 ـ دراسات أندلسية، الموصل، 1986.

49 ـ دراسات في التاريخ الأندلسي، الموصل، 1987.

50 ـ الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد ـ ميلانو، 1982.

51 ـ «نص أندلسي من تاريخ ابن أبي الفياض»، مجلة المجمع العلمي العراقي، جا، م34، بغداد، 1983.

52 ـ «موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال أفريقيا من الفتح إلى بداية عهد المرابطين»، مجلة المجمع العلمي العراقي، جـ4، م36، بغداد، 1985.

53 ـ «موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف»، مجلة المجمع العلمي العراقي، جـ4، م37، بغداد، 1986.

* فريمان ـ جرنفيل.

54 ـ التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة: حسام محيي الدين الألوسي بغداد، 1970.

* مؤنس، حسين.

55 ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967.

56 ـ فجر الأندلس، القاهرة، 1959.

(جـ) المراجع الأجنبية:

*** Gayangos, Pascual,**

57 - The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, Vol. II, New-York-London, 1964, reprint of London edition, 1843.

*** St. Lsidore of Seville.**

58 - History of the Goths Vandals and Suevi, translated form the Latin by: Guido Donini and Gordon. D. Ford, Leiden, 1970.

*** Levi-Provencal, Evariste.**

59 - (Sur L'installation des Razi en Espagne), Arabica, II, 1955.

*** Makki, Mahmud Ali.**

60 - (Egipto Y los origenes de La histoiografia arabe-espanola), Revesta del Lnstituto de Estudios Islamicos V, Madrid, 1957.

* **Pons Bolgues, Franeisco.**

Los historiadores Y geografor arabigo-espanoles, Amsterdam, - 61
1972, reprint of Madrid edition, 1898.

* **Saavedra. Eduardo.**

Estudio Sobre La inrasion de Los arabes en Espana, Madrid, - 62
1892.

المحتويات